
اليسار الإسلامي
خنجر في ظهر الإسلام
تأليف
عبد السلام البسيوني
مكتبة الأقصى
الدوحة - قطر

اليسار الإسلامي

خنجر في ظهر الإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مكتبة الأقصى الدوحة - قطر ت ٤٣٧٤٠٩ ص.ب ٧٦٥٢

عبد السلام البسيوني

# اليسار الإسلامي

## خنجر في ظهر الإسلام

مكتبة الأقصى
الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم



# الإهداء

**إلى استاذيّ الكريمين . .**
**كامل عبد الفتاح حسن، ومحمود سيد احمد السند بسطي**
**عرفانا ووفاء . .**
**وإلى . . شيخي العلامة محمد بن المختار الشنقيطي إجلالا**
**وترحما . .**

المؤلف

# تقـديم

بقلم د. علي محيي الدين القره داغي
جامعة قطر / كلية الشريعة

الحمـدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد

فلم تقف الهجمات الشرسة على الإسلام في عصرنا الراهن عند حدود العلن والمجابهة الواضحة الصريحة التي تتراءى فيها نوعية الأسلحة، وتحديد الاتجاه، بل تجاوزت إلى حروب خفية بشعة اتخذت أشكالاً متعددة، وأنواعاً مختلفة، وجُنّد لها جنود في الـداخـل، والخـارج، وأعد لها وسائل في منتهى الذكاء،

وخطط في منتهى الدقة جمعت إلى القوة المادية، والقوة المعنوية: الخبث الدهاء للإجهاز على الفكر الإسلامي الجريح.

ففي الوقت الذي لا يكون الحق إلا واحداً لا يتعدد، واضحاً لا يخبَّأ، مستقيماً لا يعوجّ، له إطار لا يتجاوزه، ومبادىء لا يتعداها مهما كان الثمن، فإن الباطل متنوِّع لا تعد سُبُلُه، قادر على التلوّن والتشكل متخذٌ لنفسه كلَّ الأشكال الممكنة، منتفع بكل الأسماء والمصطلحات البراقة، مستغلٌ استغلالاً بشعاً جهلَ ضحاياه وعدم وعيهم، فمرةً يتقدم باسم حقوق العمال والكادحين، وأخرى يتخذ لنفسه شعار القومية والتقدمية والثورية، وثالثة يلبس عباءة الإسلام، فيصول ويجول، ويدافع وينافح باسم الإسلام ولكن لضربه في الداخل، والنفوذ منه في الصميم، فقد يخلط الصالح بالسيّء، بل قد يظهر الدفاع عن بعض حقائق الإسلام، ويتظاهر بالخوف على مصالحه؛ لكنك تراه يدس السم في العسل، ويريد التعزيز والتشويه، والإبعاد عن الصورة الحقيقية للإسلام.

إن مع الباطل في هذه الجولات والصولات ضجيجَ الإعلام العالمي ودعاياته الضخمة، وإمكاناته الفنية العالية، ووسائله الماكرة المؤثرة بالصورة والصوت على عقول الناس، والقادرة على تشكيلها حسب هواه، وصناعتها صناعةً خاصة تحت أعينه، والاستحواذ على مشاعر الناس وعواطفهم من خلال الفنون المتنوعة الجذابة البراقة، إضافة إلى قدرته على إثارة الرأي العام

العالمي الذي أصبح صنماً آخر يعبد من دون الله، ويُخَوِّف به الغربُ، أو الشرقُ المجتمعاتِ الإسلامية إذا أقدمت على شيء لا يتفق مع هواه.

ولم تعد القضية مجرد محاولات أو دعوات لصدّ الإسلام؛ بل أصبحت القضية الأولى لأعدائه حين يسخرون لها كل إمكاناتهم، وأجهزتهم، الاستخبارية والاستطلاعية، وأنشأوا لذلك مئات المراكز العلمية، وآلافاً من المختبرات الفكرية التي تعتني بدراسة شعوبنا، ونفسياتها، وتوجهاتها للوصول إلى سدّ كل طريق يؤدي إلى عودة الإسلام إلى الحياة مرة أخرى، وعقدت في سبيل الإجهاض عليه مئات المؤتمرات والندوات، ويكفي أن نشير إلى أن أمريكا خلال الفترة الأخيرة قد عقدت أكثر من (١٦٠٠) ندوة حول الصحوة الإسلامية وآثارها، عقد أكثرها على أرضٍ إسلامية، واشترك فيها مسلمون قدموا خدماتهم وأبحاثهم لكشف التيار الإسلامي، وكيفية ضربه، وشلّ حركته، وإثخانه بالجراح حتى لا يقدر على المقاومة، ويكف، عن مطالبه ومبادئه وأراضيه في فلسطين وغيرها. والغريب أن كثيراً من الذين كانوا يتشدقون بالحرية والتقدمية والثورية قدموا خدمات جليلة لهذه الجهات المشبوهة.

لماذا كل هذه الهجمات؟! ونقول لهؤلاء الذين لا يزالون يحملون أسماءً إسلامية: لمصلحة من يحارب الإسلام؟ وفي سبيل من كل هذه الهجمات؟ أفي مصلحة الوطن أم في مصلحة الكرامة والذاتية؟

إن التـاريخ شاهد على أن الإسلام هو حصننا الوحيد من الانصهار والذوبان، ووسيلتنا الوحيدة القادرة على شحذ الهمم والتضحية بكـل شيء في سبيل الـوطن والكرامة، فعلى سبيل المثال لم تحرر فلسطين في عهد عمر إلاّ باسم الإسلام، ولم تطهـر من عهد صلاح الدين إلا باسم الجهاد الإسلامي، ولم يرغم أنوف اليهود في عصرنا لحاضر إلا صوت الله أكبر في العاشر من رمضـان، وصـوت الجهاد مع أطفال الحجارة، وما نراه في أفغانستان المجاهدة خير مثال على ذلك.

إن الإسـلام في عصـرنا الحاضر لا يعاني من أعدائه في الخارج بقدر ما يعاني من أهله في الداخل، إنه يراد له الإبادة الكـاملة من قبـل الشيوعية، والإلحاد، وصهره وذوبانه من قبل الأفكار الغربية، وحجزه وحبسه في إطار ضيق، وداخل جدران المسجـد من قبـل العلمـانية، وتشـويهه وتقليص دوره من قبل القوميين والشعوبيين، وكل أولئك وهؤلاء يحملون أسماءً إسلامية وقد يتكلمون عن الإسلام، ويتظاهرون به.

لقـد نجحت هذه الحمـلات المكثفـة على الإسـلام في الداخل والخارج إلى حدّ كبير حيث استطاعت إسقاط الخلافة الإسلامية، وتمزيق الأمة إلى دويلات لا حول لها ولا قوة أمام قوة الأعداء، وشغلنا بأنفسنا وبالحركات الإسلامية بدل العمل الجاد المثمر البناء للنهُوض بمجتمعنا الرازح تحت نير الجهل والتخلف والحـرمان، للحاق بركب التقدم والحضارة أو ليس من النجاح البـاهـر لأعـداء الإسلام أنّهم استطاعوا أن يبعدوا الشريعة عن

التطبيق، ويبنوا سداً منيعاً بين واقع المجتمع الإسلامي، ومبادئه؟ وأن يوقعوا من خلال تقاريرهم المضللة بين الأنظمة الحاكمة والتيار الإسلامي، وأن يشغلوا الدعاة بالفروع والجزئيات بدل التأصيل والتقعيد والكليات، بل نحن لا نرى معركة فكرية تنتهي إلا وتبدأ معارك جانبية أخرى، وحروب استنزاف فكرية تستهلك طاقات المفكرين الإسلاميين، وتشلُّها عن الحركة حتى لا يبدأوا بالفكر الهجومي الذي يحرز النصر الحاسم، بل يظلوا في مواقفهم الدفاعية.

وعلى الرغم من كل هذه الهجمات الصليبية، والصهيونية، والإلحادية فإن الفكر الإسلامي استطاع بفضل الله تعالى أن يقف على قدميه، وإن كان قد أثخن بالجراح، وأن ينهض من مرقده الذي أراد له الأعداء أن يدفن فيه، فبدأت الصحوة الإسلامية تشق طريقها، وتعيد للناس وعيهم الذي غُيِّبوا عنه حيناً من الدهر، وشاء الله تعالى أن يقيم الحجة على الباطل وأهله، ويكشف عن ستارهم ليظهر الباطل على وجهه القبيح البشع المتمثل في القلق والاضطراب، والضنك والانتحار، والإذلال والهوان والأمراض الخطيرة التي نمت على فراش الإباحية، وترعرعت في ظل الشذوذ الجنسي، فانكشفت مواقعهُ، وتراجعت الأفكار البشرية تراجعاً كبيراً في الغرب والشرق على نطاق النظرية والتطبيق، وفشلت الأيديولوجيات المستوردة لعالمنا الإسلامي فشلاً ذريعاً في تحقيق الخير والسعادة والتقدم للمجتمعات، وأصبح العالم الإسلامي محتلاً قلبُهُ المتمثل

بفلسطين من قبل اليهود المدعومين من الشرق والغرب، وغدا غارقاً في بحور الديون نتيجة النظام الاقتصادي الرأسمالي الربوي، وشعرت الشعوب الإسلامية بالواقع المؤلم الذي يعيشه منذ أن ترك الاهتداء بهدي الإسلام في نظمه وتشريعاته.

ومن هنا كان على الباطل أن يغير خططه ومناهجه أمام الواقع الإسلامي الجديد الذي لم يكن يتوقعه، وعَلم عِلْم اليقين أن المواجهة الصريحة لن تجدي نفعاً، بل تقابَلُ بالرفض التام من قبل كل من بقيت فيه الفطرة السليمة، ولذلك قام بوضع مصطلحات جديدة، وأسماء أخرى لماعة، وأفكار تلفيقية خطيرة كان من أخطرها على الإطلاق ما يسمى بـ: «اليسار الإسلامي» الذي هو محاولة ـ وإن شاء الله تكون أخيرة ـ لضرب الإسلام من داخله وباسمه وتحت شعاره، ولوائه، فهو لا ينكر الإسلام في الظاهر، ولا يحاربه مواجهةً، لكنه كذلك لا يريد الإسلام الذي رضي الله أن يكون لنا ديناً ﴿ورضيت لكم الإسلامَ ديناً﴾ وإنما يريد أن يكون حلاً وسطاً ملفقاً من الشيوعية والرأسمالية والعلمانية والليبرالية، انه إسلام مخلوط مختلط من أنماط غريبة متعارضة متناقضة، وليس الدينَ الذي سار عليه السلف الصالح فاعتزوا به.

إن من يقرأ في كتابات أصحاب «اليسار الإسلامي» ليصاب بالغثيان أمام ما فيها من هذيان، إذ ان الفكر الذي يريدونه لا هو إسلامي بحت، ولا غير إسلامي بحت في الظاهر، إنه عمامة

بيضاء على دمية حمراء، فتراهم يدعون الإسلام ومع ذلك يناقضونه في البديهيات، فأحدهم يدعي الإسلام لكنه في نظره خاص بالعرب فقط، وثانيهم يحيي لنا الفكر الباطني، والإلحادي، وثالثهم ينفي الحاكمية عن الله تعالى، ورابعهم يجعل النصوص الشرعية تابعه للهوى باسم المصلحة، وخامسهم يرى ضرورة الرجوع بجانب الإسلام إلى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية، وإلى الليبرالية لحل القمع المسلط على شعوبنا، وإلى القومية لإنهاء التشرذم، وسادسهم يرى أن الحل الأمثل هو إقصاء الدين عن ميادين الحياة، وسابعهم يذهب إلى أن «قال الله» و«قال الرسول» لا يعتبر حجة إلى غير ذلك من الضلالات والتناقضات.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يكشف لنا عن حقيقة هؤلاء وضلالاتهم وخطورتهم من خلال نصوصهم التي نشروها في مؤلفاتهم أو بحوثهم، أو في المجلات والصحف التي تتباهى بنشر آراء هؤلاء، فقد جمع الأخ الفاضل الأستاذ عبد السلام البسيوني في كتابه هذا آراءهم وأقوالهم تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿ولتستبينَ سبيلُ المجرمين﴾ [سورة الأنعام: ٥٥] وحتى يكون بينةً على هؤلاء الذين لا يزالون يغترون بأقوالهم، ويظنون بهم خيراً، وليكون ذلك حمايةً للشباب حتى لا يقعوا فريسةً لهذه الآراء الزائفة، والأقوال الباطلة. ولم يشأ الأخ الكريم أن يعلق على نصوصهم، أو أن يقف عندها وقفاتٍ يُفند فيها ما قالوه بالحجة والبرهان وإنما نقل نصوصهم بأمانة علمية ليقف القارىء الكريم على خُطورة ما فيها، ليحكم عليهم بنفسه دون عناء،

فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً علىٰ ما بذل.

وفي الختام فإننا نعلم علم اليقين أن الإسلام الذي وعد الله تعالى بتمكينه في الأرض هو الإسلام الناصع الذي نزل على محمد ﷺ دون زيادة، ولا نقصان، ولا زيغ، ولا بدعة ولا ضلال، ينتفي فيه تحريفُ الضالين، وانتحالُ المبطلين، وتأويل الجاهلين قال تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركنُ إليهم شيئاً قليلاً.إذاً لأذقناك ضِعف الحياةِ وضِعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً﴾ [سورة الاسراء: ٧٣ - ٧٥].

وأمام هذه التحديات لا ينفعنا التباكي على الماضي أو الحاضر، وإنما نحتاج إلى خطة استراتيجية دقيقة يقوم بها المفكرون الإسلاميون، وتقوم على رؤية واضحة بعيدة عن الانفعال، تشكل العقل المسلم على أساس سليم من العقيدة الحقة والتربية الصحيحة ليكون قادراً على التخلص من هذا العجز الشامل الذي نعانيه، تستخدم فيها الأسلحة الفكرية المناسبة، حيث إن لكل عصر سلاحه، ورجاله.

والله المستعان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ
بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ

# مقدمة

منذ أن أعز الله تعالى الإسلام، واكتسحت أنوارُه الظلمات التي رانت على قلوب العالمين.

ومنذ أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، بعد أن صدق الله وعده وأعز جنده ونصر عبده.

اضطر بعض الضعاف الذين ألفوا الظلام، وارتاحوا له، إلى اعتناق الإسلام، ثم بدأوا ينشبون مخالبهم في جسده محاولين الإجهاز عليه أو ـ على الأقل ـ النيل منه.

فظهرت فرق كثيرة، وادعى كثيرون النبوة، واستفاد النفاق من سياسة الإسلام في قبول ظواهر الناس وإيكال سرائرهم إلى علام الغيوب، فعابوا، وطعنوا، وخذّلوا، وجرّحوا، فإذا جابههم أحد قالوا: إنما نحن مسلمون ومن حقنا إبداء وجهات نظرنا.

واستفادت الشيوعية من هذا السلوك استفادة عظيمة؛ بعد أن أيقنت أن مصارحة الشعوب المسلمة بالإلحاد أمر لا يقبله الناس الذين استقر الإسلام وحب الله تعالى في خلاياهم.

فلجأوا إلى أسلوب التلبيس، وخلط الحق بالباطل، ومخادعة العامة؛ حتى إن رئيس الحزب الشيوعي في أحد البلدان يحمل المصحف في جيبه، ويقول للناس إنه حج سبع مرات، فهو مؤمن وموحد بالله، والناس طيبون، وقد ينخدع بعضهم بمعسول الكلام، دون أن يدرك أن في قبوله الهلاك وخسارة الدنيا والآخرة.

ومن أقوى التيارات التلبيسية الموجودة على الساحة تيار اليسار الاسلامي الذي بدأ أول ما بدأ بنية حسنة، حتى ركبه ذوو المخالب الحمر، وطلعوا علينا بمقولاتٍ بعضها واضح البطلان، وبعضها فيه التلبيس؛ حتى إن من العلماء من انخدع به، وسقط في شراكه.

وهذه جملة نقولٍ من كتابات هؤلاء الناس سيراً على منهج «من فمك أدينك» حتى لا يتوهم أحد أنني أفتري عليهم، بل إنني لم أفكر حتى في تفنيد كلامهم إشعاراً للقارىء الكريم بخطورة الأمر وأهميته.

وقد ضممت إليها بعض المقالات التي تسير في نفس السياق، وتكمله، وتعمق مجراه، وكلها منشور في الصحف والمجلات.

ولعـل القارىء الكريم يجد في هذا العمل شيئاً ذا قيمة، ولعله يغفر لي تقصيري إن وجد شيئاً ـ وهو لا بد واجد ـ وأن يدعو الله تعالى لي ولوالدي بالمغفرة والرحمة. . .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

*من المعاول الجديدة:*

# *اليسار الإسلامي*

■■ من المسلّم به أن كل حقل من حقول المعرفة يروده ويجوب آفاقه كل خرّيتٍ خبير، وكل من استوفى شرائط خاصة من حيث التقى والقدرة على التنظير والاستنباط والترتيب والإضافة وغير ذلك.

ويستنكر الناس على غير أهل الذكر ـ في كل أفق من آفاق المعرفة ـ أن يخوضوا فيما لم يخبروه، وأن يرتقوا مراقي صعبة لم يعدوا العدة الصحيحة لارتقائها، فلو تكلم أحد في الطب أو الهندسة دون سابق دربة وبحث وتلقٍّ لأنكرْ عليه العامي قبل غيره، إلا الدين، فقد استسهل مرقاه الصالحُ والطالح، ولبس عباءةَ الاجتهاد فيه المبتدئ والخبير؛ لكن من أغرب من «غزا»

ميدان الاجتهاد والتنظير - في غيبة السلطان وخفوت صوت الغُيُر - قوم لهم ولاءات حمراء فاقعة أو علمانية صارخة، مُهدت لهم السبـل، وفتحت لهم المنافذ، فأخذوا يُخضعون الاسلام كله - أصـولاً وعلومـاً وتاريخاً وتنظيراً - للفهوم الشيوعية، أو الرؤى العلمانية التي تطالب بحصر (الله) - تعالى - في المسجد، وقصر الدين على بعض الشعائر الظاهرة، وتنحيته بعد ذلك، ثم إفساح المجـالات للمنـاهـج الشـرقية أو الغـربية بالتحكم في عقولنا وتشكيل عواطفنا وولاءاتنا.

ثم تسمَّى هؤلاء بأسمـــاء موهمـة، وأضفـوا على أنفسهم ألقـابـاً، يخلب بريقها قلب السذج والبسطاء، فهم تارة سلفية مستنـيــرة، وهم يســـار إســلامي طوراً، وهم المفكــرون المستنيـرون، أو المفكرون الإسلاميون؛ وما أرخص الألقاب وأهون إسباغ الرتب.

ومما يجدر بنا لفت الأنظار إليه أن بعض المفكرين وكثيراً من المسلمين الـطيبين انخدعوا - بحسن نية - بمصطلح اليسار الإسلامي على أساس أنه مجرد وعاء أو قالب يُخدم من خلاله إسلامنا العظيم، فقبلوا حمل هذا المصطلح - على الرغم من أنه بمجرده يسيء لحامله - وقد تأول بعضهم المصطلح على أساس أن «اليسار» كمصطلح سياسي أو فكري ليس وقفاً على الفكر الماركسي، وأن كل فكر - مهما كان - يمكن أن يوجد فيه يمين ويسار ووسط، وعلى أساس أن اليسار نشأ أول الأمر في مناخ ليبرالي، فقد ولد أول ما ولد في فرنسا: [حين كان ممثلو الشعب

في العهد الملكي يجلسون في الجانب الأيسر من مجلس الأمة، وكان ممثلو الملك ورجال الدين يجلسون في الجانب الأيمن. وكان ممثلو الشعب يتبنون مطالبه، ويعملون على رفع نير التسلط الملكي اللاهوتي عنه حتى وقعت الثورة الفرنسية. وجرى هذا التقليد وسرى في العالم كله، حيث بدأت المعارضة في كل أنظمة الحكم تحتل مقاعد اليسار، وترفع شعار التحرر من نير السلطات وظلم الحكم] المنهزمون - ٢٢٦ -.

وتأولوا أيضاً المصطلح على أساس أن اليساريين المسلمين قوم يريدون الوصول الى التغيير بطريقة تخالف الطريقة التي يصل بها اليمين للتغيير.

لكن هؤلاء المسلمين لفظوا هذا المصطلح لما رأوه قد استغلته مجموعة من الماركسيين الأصلاء - على حد قول الدكتور محمد فتحي عثمان، وهو واحد ممن تبنوا هذا المصطلح أول الأمر ثم لفظه وتخلى عنه - الذين يستعملون الكلمات الإسلامية والشعارات الإسلامية لمجرد الولوج إلى الجماهير المؤمنة، وأخذوا ينثرون بعض الزخارف والتوابل على كلامهم؛ في حين أنك لا تخطىء في خلال هذا الكلام أن تجد المنطلق الماركسي والتنظير الماركسي واضحاً [انظر الأمة: ٦٤].

وفي عرضنا - إن شاء الله تعالى - نتابع فكر الذين يدورون في فلك هذا المصطلح، لا الذين نبذوه وتخلوا عنه لما أدركوا ما فيه من بهتان وتلبيس، سواء أعلن من نتكلم عنهم انتماءهم إلى

هذا الاتجـاه صراحـة، أو كان ذلـك ملحـوظـاً في كتـابـاتهم المتكررة، وفي علاقاتهم الوطيدة والعلنية بالاتجاهات اليسارية والعلمـانية، ولن يخـطىء الناظر المتفحص لأول وهلة العلاقة الـوطيدة التي تجمـع هؤلاء في نظم واحد، وسندلل - إن شاء الله - على كل نقـطة من كتـابات هؤلاء المطبوعة. ومن خلال مناقشة أفكار «المستنيرين» ومن خلال تتبع ما يقولون يتضح جليًا ما يرمون اليه، وسأحاول بيان موقفهم من القرآن والسنة، وبعض الأصول الإسلامية كالقدر والقيامة و البعث والشياطين والجن، وآراءهم في رسـول الله ﷺ وصحابته، وكبار علماء الأمة، ثم رأيهم في الشريعة الإسلامية وتطبيقها في القرن الذي نعيش.

## الشيوعية والأديان

من المسلّم به عنــد كل مطّلع ـ ولــو أوليًا ـ أن الشيوعية [وتتسمى أحيانـاً باليسـار، وأحياناً بالاشتراكية العلمية] لا تؤمن بدين، ولا تقـر بإله ولا برسالات أو نبوات، وتعتبر الإنسان إله نفسه، وسيد الكون كله، عليه يهيمن، وله يسيّر.

● والشيوعية هي القـائلة: لا إلـه، والحياة مادة. والقائلة: ما الدين والأخلاق والقانون في نظر البروليتاريا إلا آراء برجوازية، ورسالة البروليتاريا هي القضاء على الدين والداعين اليه، وهي القـائلة: إن الـدين هو أفيـون الفقراء. لم تفرق بين رسالات السمـاء وجهـالات البشـر، ولا بين الـوحي المعصـوم والرسالة المحفـوظـة وبين المفتـريات البشرية، فالكل في عرفها أفيون وخَدَر، لا بد لها من القضاء عليه ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نورَهُ ولو كره الكافرون﴾.

● ومن أهم المبادىء التي نادى بها ماركس وأنجلز في الميثاق الشيوعي وغيره من الكتب التي أصدراها:

ـ الدعوة إلى الإلحاد، [وقد عقد في روسيا مؤتمر خاص في فبراير ١٩٦٤ موضوعه التربية الإلحادية، كما تقرر إنشاء معهد تربوي

للإلحاد المدعوم بالأدلة العلمية، وإدخال دروس نظامية عن الإلحاد في مناهج الجامعات وغيرها من معاهد الدراسة، وأكد المؤتمرون وجوب مضاعفة استخدام الأفلام والنوادي والمحاضرات المعادية للدين - المنهزمون - ٢٠٦] فليس في الكون إله، وإنما هي المادة وحدها، على أنه يجب ألا يصرح بذلك في بعض الظروف.

- التاريخ هو سلسلة تطور اجتماعي مستمر، ويجب تفسيره على أساس مادي اقتصادي بحت.

● فالشيوعية إذن لا تقر بالدين - أي دين - كما أن الإسلام يعتبرها دهرية وإلحاداً؛ فلا يستقيم الجمع بينهما، أو وضعهما في صعيد و احد ﴿وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحَرُور، وما يستوي الأحياءُ ولا الأموات﴾.

● والشيوعية فتاكة بطاشة دموية جبارة، إذا دخلت بلداً أفسدته، وجوعت أهله وأذلتهم، وحاصرت عقولهم وبطونهم وقلوبهم، وصادرت ما في ضمائرهم، فليس فيها عظيم إلا ماركس وحزبه، ولا كتب إلا ماكتبوا، ولا يقين إلا ما في (المانيفست) تحترف المصادرة والسجن والقتل والإرهاب الفردي والجماعي بصوره كلها.

● غير أنها تستطيع أن تهادن، وأن تتلون، وأن تمكر، إذا وجدت أن القوة لن تجدي مع قوم، ولن تقتل في نفوسهم الإيمان، فهي

تغازل الدين أحياناً[1] وتظهر الاعتراف به، وتكرس من سدنتها من يتكلم بلسان المسلمين، ويستشهد بما يستشهدون تلبيساً على العوام، وتضليلاً لمجموع الامة، فإذا ما تحقق مرادهم كشروا عن أنيابهم، وأزاحوا الأقنعة التي كانوا يتقنعون بها، فتظهر أظفارهم المدماة وأنيابهم المحمرة.

● ذكرت صحيفة الإيكونوميست في عددها الصادر في أول يناير ١٩٦٤م أن مكافحة الدين وروابطه ليست بنسف الدين ومعابده، فلا تحطم الفأس ما في الضمير. وإذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكي تعايشاً مع العقيدة الدينية، أو إظهار الاهتمام بها في بعض الحالات، كما هو الحال في المناطق الإسلامية، فإن هذا تدبير مؤقت، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تقرر فيه القيادة الاشتراكية تقريراً حازماً بألا مبرر للهدنة مع الميراث الديني وأصحابه.

● ويروي الدكتور محمد فتحي عثمان في كتابه (التاريخ

---

(١) ★ الشيوعية فيما يبدو صارت تتغاضى عن الأديان كلها إلا الإسلام، فرغم تدريس الإلحاد، ورغم الجهر بإنكار الإله، ورغم الإبادات التي شنّوها ضد المسلمين في الجمهوريات الإسلامية، إلا أن اليهود لديهم باقون، ولديهم تمثيل نصراني، وقد حصل انعطاف كبير في الفكر الشيوعي بعد أن أعلن جورباتشوف «البريسترويكا» وأشار إلى لزوم احترام الأديان، والتعامل معها، ولعل هذا الانعطاف يكون مع الإسلام أيضاً، كما هو مع غيره.

الإسلامي والمذهب المادي في التفسير) كلمة لقطب شيوعي، إيطالي كان يزور مصر، وكان يسير في جولة سياحية مع بعض أصدقائه من الماركسيين في أحياء القاهرة التاريخية وكان ذلك يوم الجمعــة، وشهــد الشيوعي الإيطالي جمـاهير المسلمين المصلين تخرج من الجامع الأزهر أو من الحسين ـ أو منهما معاً ـ فقال لرفقائه من المصريين: لو كنت في بلدكم لما تركت منابر هذه المساجد، فلا بد أن نستغلها في التوجيه إلى ما نريد.

● وهم من خلال مغازلتهم للدين وقبولهم المؤقت به، يسقطون المفـاهيم الماركسية على كل موقف أو مدلول أو أصل ديني ـ ويهمنا الإسلام ـ فهم يلبسون الآيات و الأحاديث والمواقف التي يقبلون استخدامها ثياباً ماركسية يقطر منها الدم القاني، لا تسر الناظرين.

● ولقد قالت الإيكونوميست في عددها المشار اليه: علينا أن نعيد تفسير قصص الدين، وسير رجاله، ومواعظهم، وأحاديثهم بقالب اشتراكي. فإذا قلنا إن يسوع ثائر يطلب العمل للفقراء فهذا تفسير اشتراكي. ويمثل هذا نقول عن محمد ـ ﷺ ـ وغيره.

## موقفهم من العلمانية

■■ ويلاحظ المتتبـع ـ بدون عناء ولا إجهاد ذهن ـ أن الذين سمـوا أنفسهم بأصحـاب [الفكر الإسلامي المستنير ـ السلفية المستنيرة ـ التفكير القومي أو التقدمي] أو ما شابه هذا يتفقون في العمل مع العلمانيين، ويسيرون وإياهم في مضمار واحد، بل يدعـون إلى العلمانية صراحة، وهي إبعاد التشريع الإلهي عن تسيير مصالح العباد أو سياسة الدنيا، مع الجزم أن هذه المناهج البشرية أصوب من دين الله وأقوم قيلاً.

● يقول رائد اليسار الإسلامي الدكتور حسن حنفي[٢]: إننا في

---

(٢)الدكتور حسن حنفي: أستاذ جامعي مصري ـ درّس ببعض الجامعات العربية، يعدّ مشروعاً عنوانه التراث والتجديد، صدر منه الجزء الأول في حجم لطيف، ولـه كتب تنـاول فيهـا المـوقف من الفكر العربي والغربي المعاصرين، وله دراسات في أصول الفقه وغير ذلك، وهو رائد تيار اليسار الإســلامي واحـد أبـرز منـظّريه، ولـه بحث بعنـوان: ماذا يعني اليســار الإسـلامي، وأصـدر مجلة بعنوان اليسار الإسلامي صدر منها عدد واحد فقط، ويطوف المحـافـل والمؤتمرات «الملوّنة» بوصفه المفكر الإسلامي حامل لواء التجديد، وموري زند اليسارية الإسلامية(!!) ساهم في تصدير إحدى الثورات المعروفة إلى مصر قبل أن يحس الناس بآثارها الحقيقية التخريبية.

غياب البديل الإسلامي الثوري لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية، وإلى الليبرالية لحل القمع المسلط على شعوبنا، وإلى القومية لإنهاء التشرذم «التراث والتجديد».

● ويقول الدكتور محمد عمارة [٣] في كتابه «الإسلام والسلطة الدينية»:

إذا كانت العلمانية في أوروبا موقفاً ضد دينهم كما فسرته الكنيسة؛ فهي عندنا الحقيقة المعبرة عن نقاء الموقف الإسلامي في هذا الموضوع، ومن ثم فإن مصطلح العلمانية لا يمثل عدواناً على ديننا. بل هو - على العكس - يمثل العودة بديننا الحنيف إلى موقفه الأصيل (!!).

---

(٣) الدكتور محمد عمارة؛ من مواليد ١٩٣١م تخرج في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ونال منها الماجستير والدكتوراه. كان من أول من دعا إلى تأصيل النظرة الشعوبية في المنطقة، ويميل في كتابه إلى «سلخ جلد» التاريخ الإسلامي في عهوده كلها، ويبرز الحركات الثورية والعقلية المتطرفة في قوالب تميل إلى إظهار أولئك في ثياب الإبداع الحضاري والعطاء الإنساني، من مؤلفاته: مسلمون ثوار - المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - العروبة في العصر الحديث - المعتزلة وأصول الحكم - الإسلام وأصول الحكم - فجر اليقظة القومية - الإسلام والسلطة الدينية - العرب والتحدي. ويقال إن للدكتور الآن تراجعات عن بعض فكره القومي المتعصب، وقد سمعته في لقاء تلفزيوني يتكلم بلهجة فيها اعتدال كثير لم أعهده في كتاباته السابقة، ولا محاضراته التي حضرت بعضها، ولا شك أن في تراجعه - إن صح - مكسباً كبيراً للفكر الإسلامي المتوازن.

● ويقـول الـدكتور فؤاد زكريا [4] في حوار له مع جريدة الثورة الدمشقية ـ العدد ٦٧٧٥ ـ: إن أوروبا قد وجدت الحل الأمثل لمشكلة الدين في حياتها ـ بإزالته وإقصائه عن ميادين الحياة كلها ـ أما نحن فلا نزال ننتظر من يتمتع بالجرأة الكافية، ويقدم على حلها.

● وفي موضع آخر يقول: إن الدين يأبى إلا أن يخوض على غير بينـة (!!) في مسـائل الطبيعة والكونيات، وهو ينتظر مصلحين جرآء يقدمون دون مخافة ولا وجل على إصلاح هذا الفساد وعلى إبعاد الدين عما ليس من اختصاصه [يلاحظ هنا إسقاطه الموقف الكنسي على المنهج الإسلامي، ومحاولته الوصول بالإسلام إلى ما آلت إليه النصرانية، على ما بين المنهج المحرف وكتاب الله المحفوظ من تضاد].

---

(٤) الدكتور فؤاد زكريًا: من مواليد بور سعيد ١٩٢٧. تخرج في جامعة القاهرة، ونال الماجستير والدكتوراه في الفلسفة من جامعة عين شمس ١٩٥٦.

عمـل أستـاذاً، ورئيسـاً لقسم الفلسفة حتى ١٩٧٤. يعمل مستشاراً للعـديد من الجهـات ومنهـا الشؤون الثقـافية والعلوم الإنسـانية لليونسكو بالقاهرة، ونائباً لرئيس الهيئة الاستشارية لدراسة الثقافة العربية، وله العديد من الدراسات والمقالات منها: اسبينوزا ونظرية المعرفة ـ الإنسان والحضارة ـ ترجمة و دراسة جمهورية أفلاطون وغيرها. يدعو للعلمنة بقوة، ويطالب بحصر الدين في المسجد أو بإبعاده، وله مناظرة شهيرة أجراها مع الشيخين الجليلين القرضاوي والغزالي

● ويقول رابع: إن هدف الحملة الفكرية المطلوبة هو أن تقنع الناس بوجوب الأخذ بالنظرية العلمانية الخالصة في كل مايختص بأمور معاشهم ودنياهم، وهي لن تفلح في هذا إلا إذا اقنعتهم بأن الإسلام ـ فيما عدا مسائل العقيدة والعبادة ـ لا يتنافى مع النظرة العلمانية.

● إنه إذن التغرّب المطلق، والانسلاخ العظيم، والإحساس بالهزيمة الكاملة، الذي يدفع أناساً ـ يصدق عليهم قول الأستاذ يوسف العظم ـ (٥) [منهزمين، متصفحين لعناوين الصحف، وفهارس الكتب، وكل مقوماتهم سنوات يقضونها في انسلاخ تام عن ماضي أمتهم وحاضرها، في نفوسهم هزيمة التراث، وعلى رؤوسهم قبعة الغالب، وبين أيديهم كتاب الأجنبي، وعلى ألسنتهم رطانة الأعاجم يلوكونها، وبين شفاههم غليون التبغ يستنزفون به معظم ساعات النهار تعبئةً وتنظيفاً ونفثَ دخان] ثم إصدار القرارات «الاجتهادية» والأحكام الجريئة بمصادرة أو نسف التراث ـ على حد تعبير أحدهم ـ ولاءً لنظرية شرقية أو غربية أهلكت أهلها، وشرع كثير من معتنقيها للبحث عن مخارج

---

(٥) الأديب الشاعر الكاتب يوسف العظم ـ ١٩٣١ ـ تخرج في الأزهر وعين شمس والكلية العلمية بعمّان ـ كان رئيساً لتحرير صحيفة الكفاح الإسلامي، وهو المدير العام لمدارس الأقصى ومن مؤسسيها. برلمانيّ أردني منذ عام ١٩٦٣ وحتى اليوم.

من أعماله: المنهزمون ـ يأيها الإنسان ـ في رحاب الأقصى ـ أناشيد وأغاريد للطفل المسلم وغيرها كثير.

تنزع بهم أحياناً إلى الانتحار أو قبول الخرافات، والسقوط في عقـائـد تافهـة مثل دعوة كريشنا، أو اتّباع قسٍّ مخادع كالقس «جـونـز» الـذي طلب من اتباعه الباحثين عن مخرج أن يقتلوا أنفسهم، وحدثت «مجزرة» بشرية راح ضحاياها ألف باحث عن الحقيقة أو ألف هارب من زيف العلمانية التي يدعو المتغربون إياهم إليها.

والنظرة العلمانية التي يشير إليها أصحاب النقول السابقة ـ وبالأصح النظرة الإلحادية ـ أو اللا دينية وهي الترجمة الصحيحة لكلمة Secularity كما جاء في المعاجم المختلفة.. ومنه معجم أكسفـورد الـذي أورد تعـريفات كثيرة للعلمانية بعيدة كلها عن الدين، مثل تعريفه لها بأنها: اللا دين ـ غير المقدس ـ أن تكون الأخـلاقيات لصـالـح البشر مع استبعاد أي اعتبارات تأتي من الإيمان بالله ـ الارتباط بالحياة وقضاياها وتمييز ذلك عن الدين ـ أن يقـوم الـتـعـليم على أســاس لا ديني بحت ونص معجم WEBESTER [٦]. على هامش هذا المعنى نفسه فقال تحت كلمة SECULARISM إنها.

A view of life or of any particular mattar, based on the premise of religion and religious considerations should be ignored or purposely excluded (a policy of strict;in government) specify a system of social ethics based on a docrine that ethical standards and conduct Should be determind exclusively with reference to the present life, and socialwillbeingwithoutreferencetoreligion

---

(٦) Webestr 3 rd new Intrl dict, U.S.A. 1971

## قراءة القرآن قراءة نقدية!!

■■ يعتقد المسلمون ـ منذ رسول الله ﷺ ـ أن كتاب الله تعالى محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الله تعالى أنزله ليفتح به عيوناً عمياً وقلوباً غلفاً، وآذاناً صمًّا، وأن صلاح البشر ـ حالاً ومآلاً ـ منوط باتباعهم هذا الكتاب المنزل، وتنزيل أحكامه على واقعهم؛ كما يعتقدون ـ منذ رسول الله ﷺ ـ أن إنكار شيء منه ـ ولو بعض آية ـ كفر مُرْدٍ مخلّد في النار ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون﴾ «البقرة: ٨٥».

لكن المجتهدين المستنيرين الجدد، لا يتعاملون مع القرآن الكريم على أنه نص مقدس ينبغي قبوله، والتسليم به، واعتقاد أنه معجز؛ بل هو قابل للمناقشة، وقابل لتحكيم الأدوات النقدية فيه، وتسليطها على نصوصه ومدلولاته. وهذه الأدوات النقدية عندهم هي كما لاحظت، وكما أعلنوا بلسان المقال قبل لسان الحال: (أ) الفكر الماركسي. (ب) المصلحة (جـ) الاجتهاد الشخصي (الهوى والزندقة)، وباستقراء عدد من النصوص التي كتبتها طائفة المفكرين الإسلاميين الماركسيين، نجد مثل هذه العبارات:

●● إن النظرية الاشتراكية العلمية «الماركسية» هي المنظار الذي يجب أن ننظر من خلاله إلى التراث. فما استقام منه لها قبلناه، وأما ما لا يستجيب منه لذلك فانه يعزل تاريخياً [الطيب تيزيني (٦) منار الإسلام ٤/١٣].

●●إن إعادة قراءة القرآن من جديد قراءةً نقدية متفحصة؛ لا قراءة أيديولوجية تقليدية (يقصد قراءة المسلم المسلّم بالنص ولزوم اتباعه على غرار منهج من فسّر القرآن ابتداء من رسول الله ﷺ وابن عباس وانتهاء بالمسلم المؤمن بحجية القرآن الكريم) هي الخطوة الأولى التي لا بد منها من أجل فهم المناخ الفكري والنفسي للشخصية العربية الإسلامية. إن هذه القراءة مضطرة لأن تأخذ في الاعتبار كل المسار الفلسفي والنقدي الذي قطعه الفكر الغربي؛ ابتداءً من نيتشه، وانتهاء بفرويد مروراً - بطبيعةالحال - بكارل ماركس [جولة في فكر محمد عركون - ص: ٦٦].

●● ويقول حسن حنفي رائد اليسار الإسلامي: النقل وحده لا يثبت شيئاً، «وقال الله» «وقال الرسول» لا يعتبر حجة.

---

(٦) الطيب تيزيني: أستاذ جامعي سوري. يعد هو الآخر «مشروع رؤية جديدة للفكر العربي منذ بدايته وحتى المرحلة المعاصرة» ويعتمد الماركسية مذهباً، والمادية التاريخية منهجاً. وقد أصدر جزءين من مشروعه، خصص الأول منهما لعرض النظرية المقترحة في قضية التراث، وللدكتور تيزيني آراء لا يوافقه عليها العديد من الماركسيين العرب، علاوة على غيرهم من مفكري المذاهب الأخرى.

◉◉ ويقول محمد عمارة [القومية العربية والإسلامية: ٥٥٤]: إن المصلحة هي المميار، وإنها مقدمة على النص: ولو كان قرآناً قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

◉◉ ويقول محمد أحمد خلف الله في معرض كلامه عن بعض المعاملات: إن النص القرآني إن لم يكن قادراً على تحقيق المصلحة تركناه، ولجأنا إلى الفكر البشري، فإن مدار النصوص على المصالح، فهي أصل والنصوص فرع.

والقرآن الكريم نفسه ليس ـ عندهم ـ معصوماً محفوظاً، بل نُقص منه، وحوى الخرافات والأساطير: كما أنه يحوي شرائع وأحكاماً لا تصلح لعصرنا، بل لا بد من نبذها والاستعانة بمناهج أخرى ـ مهما كانت ـ تحقيقاً لمصالح الناس، فهم أعلم بأنفسهم من الله تعالى، وهم أدرى بما يصلحهم، وما يوافق ظروفهم ومعايشهم.

ولا شك أننا نعرف قصة الدكتور خلف الله الذي كتب عن الفن القصصي في القرآن الكريم، القرآن الذي حكى لنا قصص رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأنه كله قَصَص حقّ ﴿ما كانَ حديثاً يُفترى﴾، ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعونَ بالحق﴾ فوصف قصص القرآن بالخرافة، وزعم أن القرآن الكريم نفسه لا ينفي أنه يحوي أساطير ؟!!؟ وهذا البحث لقي اتفاق وإجماع جمهور أهل العلم في مصر وغيرها على ضلال وجرأة صاحبه، كما لقي دعم وإعجاب كثير من المشبوهين ومن المستشرقين

الـذين انبـروا للدفـاع عنـه وتقريظه، حتى إن ج، بالجون، وج. جوميه ـ من القساوسة الدومينيكان ـ وصفاه بأنه البحث الوحيد الـذي يمثـل الاستنارة الحقيقية في الفكر الإسلامي عن حركة المجتمـع العـربي المعـاصـر، وقصـر القـرآن على العبـادات والمسـاجـد، كضـرورة حتمية لتقدم المجتمع العربي [الوعي الإسلامي من مقالة للأستاذ جمال سلطان].

⊛⊛ وأحكام القرآن غير مناسبة عندهم كما أن هناك نصوصاً من القرآن الكريم وردت في بعضها أحكام أصبحت معطلة، وينبغي أن تبقى كذلك تحقيقاً للعدل والحق!!.

⊛⊛ ويتجـه بعضهم إلى محـاولة التخلص من الالتزام بالنص القرآني تحت مقولة براقة قد ينخدع بها كثير من الناس، وخاصة أولئـك الـذين يحـاولون إيجاد المسوغات الاجتماعية والنفسية لتفلّتهم من الدين، وإضفاء شيء من الموضوعية على سلوكياتهم المتحللة البعيدة عن الخـوف من الله تعـالى، وأولئـك الـذين يستحسنون أشياء مخالفة لظواهر النصوص والسلوك المتواتر.. هذه المقـولـة هي التمسـك بروح النص لا بالنص نفسه يقول «المستنير» حسين أحمد أمين[7]:

---

(٧) حسين أحمد أمين: ابن الكاتب الكبير الأستاذ أحمد أمين يعمل سفيراً بوزارة الخارجية المصرية، له كتب ومقالات سريعة الانتشار في الصحف. منها: دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين ـ فضل الإسـلام على الحضارة الغربية «ترجمة عن المستشرق مونتجمري وات» وغير ذلك.

[فالتشبع بروح الإسلام ـ لا الالتزام بأحكام معينة متناثرة ـ كفيـل بأن يكون بمثابة البوصلة التي تهدينا سواء السبيل، فقد يجـد المجتمـع الراهن عقوبة لجريمة السرقة غير العقوبة في المجتمـع البدوي (لاحظ اتجاهه الى تقبيح العقوبة الشرعية، وصبغها بصبغة محلية زمانية تتعارض مع ديمومة الحكم الشرعي واستغـراقـه للمسـاحات الزمانية والمكانية كلها) وكذلك بالنسبة للحجاب الذي فرض في المدينة (!!) فالقطع الذي قرره القرآن عقـابـاً للسـرقة هو شريعة بدوية ـ مثل عقيدة القدر تماماً!! ـ وكذلك الحجاب تشريع بدوي كان مناسباً للمدينة المنورة ولم يعد مناسباً للقاهرة في القرن العشرين].

ويقول المستنير نفسه: [إذا كان الحديث عن الحياة ـ لا عن العقيدة ـ فإن القرآن الكريم لم يشرع إلا التشريع الذي يكفل حياة أمة واحدة هي أمة العرب. في زمن واحد هو زمن النبي ﷺ....

---

= يدعو إلى قراءة التراث قراءة عقلانية ماركسية ـ انظر تفسيره في مجلة العربي ـ لا يهتم كثيراً بالنص ولا يسلّم بقداسته، وله موقف خاصّ من السنة. ومن آرائه: أن الحجاب ليس من الإسلام ـ شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل ـ أن بالقرآن سوراً ناقصة أو مدخولة ـ أن الأئمة ساهموا بوضع الحديث على رسول الله، وتلقى كتاباته حفاوة كبيرة لدى اليساريين، وهو من أبرز حملة لقب المفكر الإسلامي !الكبير.

## الرسول ليس معصوماً ! !

ومن جملة الأدوات النقـدية التي سلطوهـا لتكـون ضوابط حاكمــة على النص القــرآني أو نصــوص السنـة ـ غير الفكـر الماركسي والمصلحة ـ ما أسموه العقلانية الوسطية؛ في مقابل «النصوص» التي ارتكس في حمأتها ـ عندهم ـ الأئمة جميعاً؛ إذ كانوا يسلّمون بنصوص القرآن، ويقبلون بها على أساس أنها معـطيات لا يرقى إليهـا الشـك. أما أهل العقل والاستنارة فلا عليهم من أن يهملوا النص إذا لم يعجبهم، أو أحسـوا أنـه لا يواكب العصر الذي يتشرف بانتسابهم إليه.

●● يقـول الدكتور محمد عمارة في معرض كلامه عن بعض الاتجاهات التي تعد منحرفة عند جمهور أهل السنة والجماعة مبرراً مواقفهم «التقدمية»:

أما الاجتهادات التي حسبها «النصوصيون» إلحاداً (لاحظ أن علمـاء وكبـار أئمـة المسلمين نصـوصيون لا يجتهدون مع النص، لكن قد يجتهدون في فهمه) فإن النهج العقلاني الوسطي الـذي تآخت فيـه الحكمة والشريعة يضعها في إطار العقلانية الإسـلاميـة، وينفي عنها أن تكون مادية وإلحاداً، فالنصوصية انحراف عن العقلانية الوسطية (!!).

والعقل هو الفاصل والحكم، ولا اعتبار بورود نصوص في القضية «العربي: ٣٠٧» وهكذا يلغي الدكتور ميراثاً هائلاً، لا يتمتع بالعقلانية الوسطية، بل تحكمه النصوصية المتزمتة، ويفتح المجال لأقصاه لتقتحم عقولَنا التأويلاتُ الباطنية التي أبرزت لنا الحلولية ووحدة الوجود وإخوان الصفا، بجانب الباطنيات الأخرى.

⊛⊛ والتسليم بالدين - بل حتى التسليم بالله تعالى نفسه - أمر يحتاج الى دليل، لا يملكه «النصوصيون المتخلفون» كمالك وابن تيمية وابن عباس رضي الله عنهم، بل إن ذلك ينقصه الدليل الذي يحاول أن يأتي به اليساريون «المسلمون»، ويقدمه لنا «المجدد» محمد عركون[8] «الإسلام - الأمس والغد: ١٤٠ وما بعدها».

---

(٨) الدكتور محمد عركون؛ جزائري، من مواليد ١٩٢٨. أتمّ دراسته بباريس ١٩٥٥، وحصل على الدكتوراه من السربون سنة ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري. وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية. معظم مؤلفاته بالفرنسية.

وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام - والقرآن والسنة بالذات - بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطيات التي خلّفها ماركس ونيتشة وغيرهما.

ويعتبر الدين الذي يتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلقها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة. والرجل أمة وحده في منهجه وحربه الشرسة التي تحتاج إلى حنكة ومتابعة.

إن الفكر الاسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلاً (!!) إن فعل الإيمان «الأرثوذكسي» (يقصد السني الملتزم بالنصوص القرآنية المقدس لها فيما أظن) المحتسب دوماً، يقوم على التأكيد بأن الـدين يرتكز على الوحي الذي أنزله الله للناس بواسطة الأنبياء لكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض فكرة أن الدين كله من المجتمـع، الله ـ سبحانه وتعالى ـ بذاته بحاجة إلى شهادة الإنسان له (!!).

وهكذا فلا قرآن ولا أنبياء ولا مقدسات، بل محاولة تتمسح بالمنهجية والعقل من أجل إلغاء الدين والقضاء عليه ﴿والله متمّ نوره﴾.

●● والرسول ﷺ في نظرهم ليس معصوماً إلا في نقله للقرآن فقط ـ مع الانتبـاه إلى طعنهم في القـرآن ذاتـه، وإلى أن هذا المفهوم يلغي السنة تماماً ـ فلو تكلم فهو ـ خلاف ما يقول القرآن ـ معرض للسهو والافتراء والخطأ وغير ذلك. يقول حسين أحمد أمين «المستنير»:

ومع أن رسول الله ﷺ لم يدّع قط أنه معصوم من الخطأ؛ إلا حين يملي أو يتلو آيات ربه (!!) بل ونبه القرآن إلى أخطاء بدرت منه؛ فقد افترض أنصار الالتزام بالسنة (يقصد جمهور أهل السنة والجماعة ابتداءً من الصحابة حتى أيامنا هذه) أن العناية الإلهية إنما كانت توجه كل عمل أتى به، وكل كلمة صدرت عنه، منذ بعثه الله رسولاً إلى قومه، إلى أن مات، ومن ثم فقد رأوا أن أحكام السنة ملزمة في الحالات التي لم يرد بصددها نص قرآني.

ويقول محمد أحمد خلف الله: ما عدا القرآن ـ يقصد السنة المشـرفـة ـ فكر بشري نتعامل معه بعقولنا، وتفسير رسول الله للقرآن قول بشر.

وقد مر بنا في مقال سابق قول حسن حنفي: النقل وحده ـ القرآن والسنة ـ لا يثبت شيئاً، وقال الله وقال الرسول لا يعتبر حجة (!!).

وهكذا فالقرآن عندهم لا يثبت، والسنة مردودة، والرسول ﷺ غير معصوم، فماذا بقي للمسلمين؟!! إن المعاول لتبدو من تحت الأرديـة المصبوغة بالأحمر، والموشاة بالصلبان والنجوم السـداسية من أناس ينتسبون للإسلام، ويحملون اسم محمد وحسين وحسن وعبد الرحمن والطيب.

## اتهامهم للأئمة

بعد أن طعن (المستنيرون) في القرآن الكريم، وفي رسول الله ﷺ - بل في رب العزة جل شأنه - استداروا بمعاولهم المثلومة للطعن في جملة الأئمة الذين قام الميراث الإسلامي في الفنون المختلفة على كواهلهم، وكان لهم فضل السبق والريادة والتنظير، وإقامة صرح لا نظير له من التكامل المعرفي . .

ورغم تلقي الأمة لعلمائها بالقبول، ومعرفتها الكاملة بحالتهم من حيث العدالة والثقة، فهم - في جملتهم، ولا يستثنى إلا المشبوهون كما سيأتي - عند أهل التجديد من (اليساريين المسلمين) غير عدول، وأنانيون لا يعرفون إلا أنفسهم، ولا يهتمون إلا بما يماشي أهواءهم، أو أهواء السلاطين وأهل الحكم، واستطاعوا أن يدلسوا على الأمة، ويلفقوا لها فكراً (كهنوتيًا) لا بد - عندهم - من الانقضاض عليه و تقويضه، وفي أثناء تلفيقهم و (فبركتهم) للميراث الديني صاغوا آراءهم في شكل أحاديث تجد - بعد إضافة الأسانيد لها - قبولاً لدى الأمة وتنال رضاءها (!!).

● يقول المستنير الماركسي حسين أحمد أمين (الدوحة - مارس ٨٣):

[كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم(!!) ويراعون في وضعهم الأحكام مراعاتها للظروف المتغيرة في مجتمعاتهم، غير أنهم سلكـوا مسلكاً خاطئاً، [لاحظ المصادرة الكاملة للنوايا، والحكم عليهـا بتعمـد الخـطيئـة لا الخـطأ] إذ صاغوا آراءهم المبتـدعة في قالب أحاديث نسبوها إلى النبي ﷺ واختلقوا لها الأسـانيد الكاملة حتى تلقى قبولاً من الأمة]. وهكذا بجرة قلم خاطئــة تسقط المـدارس الفقهية، والحـديثية، وعلوم الجـرح والتعديل، بل وسائر العلوم التي قامت على أساس الإسناد كفقه اللغة العربية وغيره.

● ويقول المستنير نفسه في كتابه «دليل المسلم الحزين» ص ٤٥:

لجـأ الفقهـاء والعلمـاء إلى تأييد كل رأي يرونه صالحاً، ومرغوباً فيه؛ فهـم يصنعون أو (يفبركون الأحكام، ويختلقونها) بحديث يرفعونه إلى النبي ﷺ.

● ويقول (المجدد) محمد عركون؛ [القدسي والثقافي والمتغيّر - مجلة الفكـر العـربي المعـاصر العدد ٣٩]: [إن أشكال الإسلام المدعوة مستقيمة أو أرثوذكسية (هكذا والله) كالاتجاه السني، والشيعي والخـارجي (؟!) الـذي يدّعي كل منهـا أنـه يحتكر الإسـلام الصحيح دون غيره، هي عبارة عن انتقاءات اعتباطية (!!) واستخـدامات أيديولوجية لمجموعة من الأفكار والعقائد والممارسات المقدمة والمصورة على أساس أنها دينية محضة]

فالمسألة عنده ليست اجتهاداً بل اعتباطاً وانتقاء (لأيديولوجيات) ثم إضفاء الصبغة الدينية عليها، فأي أمة نحن (؟!!).

◉ ويقـول مسيلمة السابق نفسه (الهدي المغربية ـ وقفات مع محمد عركون):

اصبحنا من أجل التفكير في تاريخنا لا نجد في متناول أيدينا سوى (سيدي خليل) عندنا، وابن تيمية عند الحنبليين، وبعض المفكـرين القـانـونيين عند الحنفيين، وبالتالي إطار إسلامي، وتقاليد إسلامية خضعت لعملية كبيرة من التفقير والتخسيس. . .

◉ وفي كتـابـه: **الإسلام وقضايا العصر**، يقول محمد عمارة: [فكثير من الفقهاء قد اشترطوا أن يكون الخليفة عربيًّا من قريش، وهذا الشرط لم يظهر في الفكر السياسي الإسلامي إلا عندما بدأ تغلب الأسـر الأعجمية والاتجـاهـات الشعـوبية على الخـلافة العباسية العربية [لاحظ أن النص على قرشية الخليفة مع اشتراط حكمـه بكتـاب الله وإقـامتـه للدين موجود في البخاري وغيره] وظهـرت آثـار السيطرة المملوكية التـركية الحديثة على الدولة، فكان اشتراط (قرشية الخليفة) تعبيراً عن موقف (قومي عربي) ضد عجمة الدولة ممثلة في رأس سلطتها وقائدها الأعلى].

وهـذا خطأ مزدوج، فهـو باطل تماماً من الوجهة التاريخية حيث إن شرط القرشية للإمام قد تواترت عليه النصوص الشرعية، من حديث رسول الله ﷺ قبل ظهور نظام الخلافة ذاته إلى الواقع العملي.

وعلى أساسها اتفق أهل العلم على اشتراط القرشية في الإمام - إلا من شذ كابن خلدون - بل واتفق عليها الصحابة من أول عهد الصديق رضي الله تعالى عنه، فكيف يتأتى الزعم بأن هذا الشرط لم يظهر إلا في زمان العباسيين. . .

ثم هو - كما يقول الأستاذ جمال سلطان (الأمة: ٦٤) فاسد تماماً من الوجهة المنطقية، حيث إنه محاولة لإخضاع الموقف التاريخي لنمط من التوجه السياسي والأيديولوجي لاحق عليه ومتأخر عنه، وما كان معهوداً قبل وقوعه، إذ كيف يتأتى الزعم ببروز الفكر القومي العربي حتى في صدر الإسلام وعصوره الأولى؟!.

## الإسقاطات الأيديولوجية على تاريخ الإسلام

وفي محاولة مكشوفة للنفاذ خلال الكيان الإسلامي ـ تحت مسمى الاجتهاد والتجديد ـ حاول اليسار الإسلامي «مركسة» الإسلام، وإسقاط التنظير الشيوعي عليه من خلال جوانبه كلها، وقراءة التاريخ الاسلامي قراءة حمراء لا يصعب على من أوتي شيئاً من الفهم أن يلحظ البصمات المشبوهة التي يحاولون تركها من خلال هذه القراءة، لقد رد «الماركسيون المسلمون» الكثير من الحقائق الموثوقة التي سلم بها المسلمون العدول، وأثبتوها بأسانيدها بمستوى توثيقي لا يرقى إليه شك، ولا يحتمل تردداً أو دفعاً، وجعلوا رسول الله ﷺ وكأنما جاء بالقرآن ليبشر بماركس، ويعيش السيرة الشريفة لتكون تطبيقاً مبكراً لنظرات لينين أو أنجلز أو غيرهما.

●● فالحروب التي قامت بعد رسول الله ﷺ مباشرة دفع إليها الطمع، والطموح السياسي، والرغبة في التسلط والقهر.

يقول «عمارة» (الإسلام وأصول الحكم ـ ص ٣٤٨):

فلا الحرب التي «سميت» بحرب الردة كانت دينية، ولا حرب علي مع خصومه كانت دينية، لأنها كانت حرباً في سبيل الأمر والرئاسة والإدارة، وهذه سلطة ذات طبيعة سياسية ومدنية،

فكانت الحرب التي نشبت لأجلها سياسية ومدنية هي الأخرى(!!).

●● كما يشير في كتابه «العرب والتحدي» - ٤٧ - إلى أن فتح «العرب» للبلاد الأخرى وجميع أسبابه سياسية تدخل في باب الصراع القومي لا الديني؟!.

فالمسلمون في رأيه خرجوا ليقيموا امبراطورية عربية سياسية، أما نشر دين الله تعالى، فأمر لم يرد لهم بخاطر ؟!! بل كانت الرغبة «كيانا قوميًا موحداً، تحت راية الإسلام القومية (؟!) لبناء امبراطورية عربية» [انظر أيضاً: ص: ٤٩].

●● ويقول غيره في انطلاق المسلمين لنشر الإسلام: لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم: إن «العرب» كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج «البدوي» - وهو الذي لا يهتم بالدين - لنشر الإسلام.

●● وفي سلسلة مقالات «؟الصراع بين اليمين واليسار في الإسلام (مجلة الكاتب - كانون الأول ١٩٦٥ وما بعده) يقول أحمد عباس صالح - وهو شيوعي صريح - مقسماً الصحابة تقسيماً ماركسيًا:

[وكما يحدث في أي ثورة فإننا نرى في الطليعة المؤمنة بالدين الجديد ثلاثة تيارات: أحدها يسار ثوري، والثاني وسط معتدل، والثالث يمين محافظ(!!؟)ومن البديهي أن اليسار الثوري يتكون من المعدمين والموالي والعبيد، وهم الذين

اتضحت رؤيتهم للإسلام بسبب تحررهم من أي ملكية (!؟).

أما الوسط فمن هؤلاء الرجال العمليين الذين كان عليهم إنقاذ الإسلام بعد وفاة النبي من الصراع الذي يوشك أن يحتدم بين اليسار ـ الذي يفسر الإسلام تفسيراً يحقق العدل على أوسع نطاق (كما في إثيوبيا وكوبا وروسيا وفيتنام) واليمين الذي يرى أن الإسلام لم يرم إلى إلغاء الامتيازات الطبقية (؟!)ولم يقصد إلى تحقيق العدل الاجتماعي على هذا النطاق الواسع] انظر «التضليل الاشتراكي: ص٩٢» وفي سلسلة المقالات هذه جملة من الإسقاطات الضخمة كقوله ـ مثلاً:

● إن مقتل عثمان إنما هو ثورة مسلحة من اليسار بعد أن سيطر اليمين على الحكم.

● إن الطليعة الثورية التي تعمل الى جانب النبي ﷺ كانت من القوة والثورية بحيث لا تستطيع أية قوة داخلية رجعية أن تزحزحها عن مكانها.... الخ.

●● ويقول الطيّب تيزيني [مشروع رؤية جديدة للتراث ـ ١٥٥]:

إن النضال الطبقي الاجتماعي بين الأغنياء والمفقرين ضمن القرشيين الذين كان «الرسول» منهم، هذا النضال الذي تقنّع بقناع العنجهية القبلية، وبكثير من العادات والتقاليد البطريركية، والنضال بين مجموع سكان مكة والمدن العربية، وكذلك المسار الحياتي المأساوي «للرسول» نفسه، كوّن العوامل الحاسمة

لنشوء «الحركة الإسلامية» تعبيراً عن البؤس الاجتماعي العميق لأكثرية سكان الحجاز.

●● ويقوم «المستنير» حسين أحمد أمين بتفسير القرآن الكريم تفسيراً ماركسيًّا على حلقات في مجلة العربي تحت عنوان؛ البيان في تفسير القرآن، ومما جاء في العدد ٣٥١ في تفسير قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ يقرر أن الماركسية مع الإسلام، ويسقط من روحها عليه ليثبت أنها لا تفارقه، كما يهاجم ـ كعادة الشيوعيين ـ الرأسمالية فيقول:

(لقد تنبأ كارل ماركس في القرن الماضي بأنه من شأن النظام الرأسمالي أن يزيد الفجوة بين مستوى معيشة الأغنياء ومستوى معيشة الفقراء) إلى أن يقول:

[ومع ذلك فإن نبوءة كارل ماركس بدأ يظهر صدقها، واحتمال تحققها في مجال آخر ما كان هو نفسه ليتوقعه أو يحلم به، ألا وهو اتساع الفجوة بين مستوى المعيشة في الدول الغنية والدول الفقيرة . . ] إلى آخر التحليل الشيوعي الذي يريد أن يفسر به الآية (!!).

●● ويركز عبدالرحمن الشرقاوي ومحمد عمارة في كتاباتهما على تصوير الصراع الطبقي المرير بين الخلفاء وبين الشعوب وبين الطبقات منذ رسول الله ﷺ حتى إن المرء ليخالهم ذئاباً تتقنع بالزهد والدين لبلوغ مآربها وغاياتها، مسقطين كل الإيحاءات الماركسية على تاريخ الإسلام كله، ويكفي أن تقرأ

«علي إمام المتقين» للشرقاوي أو «فجر اليقظة القومية» لعمارة لتحس بهذه الروح بطريقة مقززة من هؤلاء المزيفين.

●● وأما محمد عركون فيلمح إلى أن الماركسية لم تأخذ حظها في تقييم الإسلام والحكم عليه، وأنها ينبغي أن تكون منطلقاً لعلمنة الإسلام، ويقول (تاريخية الفكر العربي الاسلامي مركز الإنماء القومي: ١٩٨٦):

نلاحظ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الإيجابية حتى الآن، لافي الفكر العربي المعاصر، ولا في الفكر الإسلامي بشكل عام، نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص نقد القيم الذي قام به «نيتشه» تجاه المسيحية. وهذا النقد قابل للتطبيق على الإسلام (؟!) وإذا مانظرنا للتاريخ بكليته ضمن هذا المنظور فإنه يصبح ممكنا تعبيد الطريق وتمهيده نحو ممارسة علمانية للإسلام. يمكن للعلمنة عندئذٍ أن تنتشر في المجتمعات التي اتخذت الإسلام ديناً.

## تصريحهم بإنكار أصول الإسلام

●● وكما شككوا في الله تعالى، وفي رسول الله ﷺ وفي حجية القـرآن والسنـة ـ كمـا مر ـ بدأوا يعتدون بالسب الصريح على الأصول الإسلامية التي لا يكون امرؤ مؤمناً بدونها.

ومما شككوا فيه: الإيمان بالغيب والإيمان بالقدر، ونحن «اليمينيين الرجعيين الجامدين» نعتقد أن المرء لا يكون مؤمناً إلا بالإيمان بهما، بل «اليساريون» الرواد كعلي وابن عمر رضي الله عنهما كانوا يؤمنون بالقدر والغيب إيماناً جازماً لا يرقى إليه شك، ولقد أخرج مسلم في الصحيح أن رجلاً قال لابن عمر [يساري بمقاييسهم]: إنه ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتعمقون في العلم، يزعمون ألاّ قدر، وأن الأمر أُنُفٌ.

فقال له: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به ابن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

لكن هؤلاء المستنيرين ينادون بإلغاء مثل هذه العقيدة من واقع المسلمين، وهذا يعكس النظرة المادية البحتة التي قامت عليها الماركسية.

●● يقـول رائـد التجـديد حسن حنفي: فألفـاظ مثل: الجن والملائكة والشياطين، بل الخلق والبعث والقيامة ألفاظ تجاوز الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها الناس، ولا تؤدي دور الإيصال (؟!!).

●● ويقول حسين أحمد أمين، نابذاً الاعتقاد بالقدر - ويترتب عليه نبذ القرآن الكريم نفسه - ومحاولاً القول إن الاعتقاد بالقدر عقيدة بدائية جاءت مع حركة التدرج الإنساني والنمو الحضاري [جريدة الشعب المصرية: ديسمبر ٨٧]: (ثمة مواقف عقلية هي نتـاج منـطقي لطبيعـة حياة البـدوي، فرضت نفسها على أهل الحضر والريف من شعوب الأقطار التي فتحتها جيوش الإسلام، رغم مخـالفتهـا للمـواقف العقلية الأساسية لأفراد المجتمعات الزراعية وسكان المدن، خذ لذلك مثلاً: نزعة الإيمان بالقضاء والقدر. إنه لمن السهل علينا أن نتبين جذور هذه النزعة وأسبابها عند البدوي، فحياة البدوي تعتمد اعتماداً يكاد يكون كليًّا على المـاء والكـلأ، يجـد في الغيث نجـاة، وفي الجفـاف تهلكـة وكلاهما لا سلطان له عليه، ولا حيلة له فيه).

فهو يفسر نشأة عقيدة القدر بردّها الى أسباب اقتصادية على طريقة ماركس، فهي من نتاج البيئة الصحراوية في الحجاز، ثم هو يقرر أن هذه العقيدة البدوية قد انتقلت الى الإسلام (؟!). مع تغير طفيف، إذ حلت فيه - كما يقول - فكرة الله محل الدهر (؟!!).

ومن اللافت للنظر أيضاً إيهامهم للقارىء أن الإسلام سلّم بكثير من التقاليد الجاهلية المتخلفة وَقَبِلَها، لذلك فهم يرفضونها. . . وهذا واضح في كلام حسين أحمد أمين السابق وفي كلام محمد عركون في أكثر من موضع حين فسّر بعض القرآن الكريم بطريقته الخاصة، واعتبر وضع المرأة وقضايا الجنس والميراث من الجاهلية، ويطالب بإعادة النظر فيها بمعايير جديدة تخالف المعايير الجاهلية التي أقرها القرآن (؟!).

يقول في حديث له بمجلة «لونوفيل أوبزرفاتور ١٩٨٦/٢/٧»:

إن التفسير يبقى دائما جائزاً، على شرط أن يعاد التفكير في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية (؟!) الحجاب مثلاً ـ ككل ما يمت إلى الجنس، وإلى وضع المرأة في الإسلام ـ ينتمي إلى قانون عرفي سابق على الإسلام، الإسلام صادَقَ على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبله، وأعطاها بعداً مقدساً (؟!) ويتعلق الأمر اليوم بإعادة التفكير في هذه المفاهيم على ضوء التاريخ، وللأسف فإن هذا العمل في بداية الإسلام يحكم سيطرة الأيديولوجيا. . .

## إحياؤهم للباطنيات الهدامة

ومن جملة الـوسـائل التي استخدمها (المستنيرون) إحياء التـوجهـات الباطنية. وتعظيمها وتقديمها للناس على أنها فكر تقدمي ثوري، وانتفاضة على اليمين الجامد المتخلف، حتى إنهم لم يبقوا شخصاً مرفوضاً في تاريخ الإسلام مهما كان انحرافه وجنوحه إلا رفعوا قدره وعظموه، واحتفلوا به أيما احتفال.

وقد أخذوا هذا التوجه عن خبثاء المستشرقين الذين عنوا في أغلب أحيانهم بإحيـاء تراث الباطنيين والزنادقة وغلاة الصوفية كابن عربي والحلاج وأبي نواس وابن سينا وغيرهم. كما قدموا حركـات الـراونـدية والقرامطة والزنج وإخوان الصفا على أنها صراع ثوري بين الإقطاع والبروليتاريا بوصفها النزعات الثورية المستنيرة:

●● فإخوان الصفا الذين اعتمدوا التلفيق ورفضوا الإسلام كما أنزل على محمد ﷺ أصبحوا أبطالاً وروّاداً للحرية السياسية.

●● والقـرامـطة الشيوعيون الأول الذين ثاروا على الإسلام، واعتدوا على البيت الحرام غير مرة، وقتلوا الألوف من الحجيج، وسرقوا الحجر الأسود من الكعبة. هؤلاء الإباحيون الذين كانت لهم أيام في السنة، يختلطون فيها ولا يمنع أحد منهم امرأته عن

أخيه، وكانوا يعتبرون ذلك من تمام الأخوة وكانوا ـ كما قال ابن الجوزي ـ يتناهبون النساء، ويزعمون ان من أخذ امرأة استحلها بالاصطياد . .

هؤلاء أصبحوا أبطالاً للحرية والمساواة والثورة على اليمين الجائر.

●●ومهيار الديلمي المجوسي الغالي صار بطلاً، ومما قاله فيه أبـو القاسم ابن برهان، يامهيار: انتقلت من زاوية في النار إلى اخرى فيها! كنت مجوسياً وأسلمت فصرت تسب الصحابة.

●● وممن عظموهم أيضا ميمون القداح الذي قال فيه المقريزي في (اتعاظ الحنفاء ـ ج: ١ ـ ص ٢٧):

ميمـون القـداح . . واليه ينسب الميمـونية ـ كان له مذهب في الغلو، ولـد له ابن يقـال له عبـدالله كان أخبث من أبيه وأعلم بالحيل، فعمـل أبـواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة . . . . إلخ كلامه . .

●● ومن جملة من أحيوهم كما سبقت الإشارة: ابن الراوندي، وابن سينـا، والحـلاج، وابو نواس وأضرابهم. بل بلغت بهم الجرأة إلى حد تعظيم متنبىء كالأسود العنسي، فهو في نظرهم أول ثائر يمني يخرج على (الجبروت الديني).

## وبعــــد

إن المتأمل للساحة الثقافية الفكرية يجد هؤلاء المتدثرين بعبـاءة اليسـار الاسلامي يملكون من الأساليب والقنوات التي ينشـرون من خلالها أفكارهم، ويلحون بها على أذهان الناس صباح مساءً.

● فالمـلاحظ أن كثيراً من الصحف والمجـلات تفرد لأحدهم الصفحة والصفحتين ليصول ويجول بينما لا يجد غيره من أهل الغيرة منفذاً لإبداء وجهة نظره أو الرد على بعض مقولات هؤلاء، وأذكر ان بعض الجرائد حجبت مقالاتٍ لعلماء كبارٍ انبروا ذات مرة للرد على الشـرقـاوي وغيره في بعض مفترياتهم في الوقت الذي كانت تنشر مقالاته في خمس جرائد عربية كبرى.

● إصـداراتهم كثيرة ومتتـابعـة، يشـاد بها أولاً بأول من خلال المـلاحق «الثقـافية» في الصحـف والمجـلات، وتسلط عليهـا الأضواء، وتصدر في طبعات متعددة شعبية وفاخرة.

● كثيراً ما تنشر لهم الصحف في مواقع كثيرة في وقت واحد، فربما رأيت مقالة أحدهم في عدة عواصم في آنٍ معاً، وهذا دعم مادي وأدبي لهم، كما أنه يثير العديد من التساؤلات.

● كثيراً ما تفتح لهم أبواب الجامعات - أساتذة زائرين - وأبواب المشاركات الجماهيرية - محاضرين - في مواقع مختلفة، بينما لايتاح هذا لغيرهم.

● وأهم من ذلك كله أن المشايخ عفا الله عنا وعنهم لا يلقون كبير اهتمام لملاحظة مثل هذه التيارات، والتصدي لها، والرد على أصحابها، مع استثناءات قليلة حصلت من خلال مناظرات وردود تصدى بها بعض الأفاضل من علمائنا للرد على العلمانيين واليساريين.

هذه في واقع الأمر رؤوس أقلام قصدت بها الإنذار والتنبيه لا الحصر الكامل لهذا التيار، ولا الرد عليه، فإن الرد يحتاج إلى أن نفرد له كتاباً بل كتباً، ولعل الله تعالى يتيح هذا الأمر في قابل الأيام.. ولعل هذه الصيحة تصل إلى آذان العلماء المتفرقين شيعاً، فتتحرك الغيرة في صدور الأكفياء منهم ليقفوا ليوثاً راصدة، ورحمة الله ورضوانه على أحمد بن حنبل وابن تيمية وعلى علماء أمة محمد ﷺ المخلصين.

ألا هل بلغت... اللهم اشهد.

# خرافةٌ اسمُها: الحكومَةُ الدّينيّة

■■ بنفس العقلية التي كان يفكر بها العلماء الذين ثاروا في وجه الكنيسة ـ بعد أن تحولت إلى قيدٍ يحول دون الانطلاق العلمي ـ يحـاول مجموعة من المعاصرين من الماركسيين والعلمانيين والمفكرين «اليساريين المسلمين» التعامل مع المنهج الإسلامي السياسي، ولا يفتأون يكررون تحذيراتهم «قبل سقوط» الدول في أيدي حكومات دينية، ويطالب بعض منهم بلا أدنى خجلٍ أو حياءٍ رغم أنه يلبس مسوح الدفاع عن الإسلام ـ أن تكون أزمّةُ الأمور في بلاد المسلمين بأيدٍ علمانية، تخلصاً من سطوة «رجال الدين» ومن حكومة دينية[1] باطشة متوحشة تهلك البلاد والعباد، وتأتي على الأخضر واليابس ■■

(١) المقصود بالحكومة الدينية «الثيوقراطية» حكومةُ رجال الدين المرسومين ممّن لهم منصبهم الكهنوتي.

ويبدو انني مضطر ـ لفتاً للأنظار المتعامية لا العمياء ـ للتذكير بحقائق:

● أولاها: أن الإسلام منذ قرون عدّة مفلول الحدّ، مكسور الشوكة، فهؤلاء المنادون بالتحاكم إلى توجّهات علمانية إما انهم لا يعرفون طبيعة الإسلام وجوهره الحقّ، وإما خائفون مرتعبون منه لسبب أو لآخر. .

● ثانيتها: أن أزمّة الأمور في مواطن التأثير في العالم الإسلامي ـ إلاّ قليلاً ـ في أيدي علمانيين فعلاً. . يلجؤون حيناً من الدهر إلى روسيا الشيوعية مسبحين بحمدها، وحيناً إلى أمريكا الدهرية شاكرين أنعمها، وحيناً إلى ولاءٍ مذبذب بين هؤلاء وهؤلاء.

وكان من نتيجة ذلك أن استجدينا خبزنا ـ وماءنا أحياناً ـ وانغرس يهود شوكةً قاتلةً في جنوبنا ورجساً داخل قدسنا الشريف، وخفت صوت الإسلام والمسلمين إلا من شكليات لن يهدأ للعلمانيين بال إلا اذا أطفؤوها.

فهل هناك معنىً بالمطالبة بتسليم المقاليد إلى أيدٍ علمانية إلا التعمية والتضليل؟.

● ثالثتها: أنه لا توجد في الإسلام طبقة تسمى «رجال الدين» فالإسلام للناس جميعاً، وليس فيه كلمة «إلهية مقدسة» لحاكم قد يكون دكتاتوراً يبطش باسم الله بالأبرياء، والناس جميعاً في حكم الإسلام ـ مسلمين وغير مسلمين ـ مواطنون لهم حقوق

يطالبون بها، وعليهم واجبات يتحتم أداؤها، فمن نقص له حق فله أن يجهر ـ دون خوفٍ أو وجلٍ ـ مطالباً بما له، ومن كان عليه واجب أدّاه وإلا حوسب، ولو كان سلطان المسلمين نفسه؛ يقول الإمام ابن جماعة:[1]قد ذكرنا ما للسلطان من حقوق، وما سوى ذلك فالسلطان فيه واحد من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، من فرضٍ وسنة، وطاعةٍ ومعصية، وحلالٍ وحرام، وغير ذلك من الأحكام.

● رابعتها: الطاعة المطلقة لا تعطى إلا لله تعالى، ورسول الله ﷺ بل إن طاعة رسول الله ﷺ ليست ـ كما يقول العلّامة المودودي رحمه الله[2] ـ من جهة أن الرسول هو ذلك الشخص المعيّن ـ كابن عمران أو ابن مريم أو ابن عبد الله مثلاً ـ فلو أن الأمر كان هكذا لكان الرسول نفسه ـ ومعاذ الله ـ أحد أربابٍ من دون الله، فالسلطات التي يتمتع بها الرسول ﷺ ليست ذات صبغة ذاتية مصدرها شخص الرسول، بل هي مفوّضة إليه من عند الله تعالى.. إذن ليست طاعته ﷺ ـ في حقيقة الأمر ـ إلا طاعة لله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرسولَ فقد أطاعَ الله﴾ (النساء: ٨٠).

والإسلام لم يعرف الدولة «الثيوقراطية» التي عرفتها أوروبة في القرون الوسطى؛ عندما سيطرت طبقة من رجال الدين على السياسة العليا، ولا يعترف بنظام الكهانة أو وجود طبقة ممتازة

---

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة: ٧١.

(٢) مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة: ٩٣.

تدعى «رجال الدين»، ولا يعترف بأن هناك طبقةً أو شخصاً ما يستطيع أن يتميز بنوع من القداسة دون الناس جميعاً، إذ لا ريب أن الحكومة الدينية في نظر الإسلام أداة من أدوات الاستبداد[4].

والفرص متاحة ميسرة للناس جميعاً ـ ما كانوا أكفياء صالحين ـ فكل واحد من أفراد المجتمع الإسلامي له نصيب في الخلافة، وحق في التمتع بها، وهذه الحقوق سواء فيها جميع أفراد المجتمع كأسنان المشط، لا يحلّ لأحد أن يحرم هذه الحقوق من شاء من المجتمع، فالظاهر أن كل حكومة تتهيأ لتسيير دفّة هذه الدولة: وإدارة أمرها لا تتألف ولا تتشكل إلا بآراء الجمهور وتأييدهم، وهم الذين يخوّلونها جانباً من حقوقهم، فلا تعمل عملها إلا بتأييدهم ومشورتهم[5].

ويقوم النظام السياسي الإسلامي على أسس وقواعد تميزه وتجعله متفرّداً على التشريعات الأرضية بحيث لا يكون ثمّ مجال للمقارنة.. هذه الأركان هي:

١ ـ الحاكمية لله وحده:

يقول سيد قطب رحمه الله:

ليس لأحدٍ من خلق الله أن يشرع غير ما شرع الله وأذن به ـ كائناً من كان ـ والله وحده هو الذي يشرع لعباده، بما أنه ـ سبحانه ـ هو مبدع هذا الكون، ومدبّره بالنواميس الكلية الكبرى التي

---

(٤) معلمة الإسلام ـ أنور الجندي ـ جـ ٢ : ٣٧٤.

(٥) نظام الحياة في الإسلام لأبي الأعلى المودودي: ٢٥.

اختارها له. والحياة البشرية إن هي إلا ترس صغير في عجلة هذا الكــون الكبير، فينبغي أن يحكمهــا تشــريع يتمشىّ مع تلك النواميس، ولا يتحقق ذلك إلا حين يشرع الله ـ سبحانه ـ المحيط بتلك النواميس. وكل ما عدا الله فهو قاصر عن تلك الإحاطة بلا جدال، فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور، ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حدّ البداهة فإن الكثيرين يجادلون فيها، أو لا يقتنعون بها.

وهم يجرؤون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله؛ زاعمين أنهم يختارون الخير، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم، كأنما هم أعلم من الله، وأحكم من الله، أو كأنما لهم شركاء من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله؛ وليس أخيب من ذلك ولا أجرأ على الله[٦].

٢ ـ العدل والمساواة:

لا رهبة ولا كهنوت ولا طبقية في الإسلام ـ كما مرّ ـ وليس هناك من يزعم من المسلمين أنهم ﴿أبناء الله وأحباؤه﴾. وليس هناك أناس مختارون من قبل الله ـ عز وجلّ وتنزّه ـ ولا آخرون خلقوا من فمه وآخرون من قدمه، تعالى الله عما يقول المفترون علوًّا كبيراً؛ بل المسلمون جميعاً سواسية لا يتفاضلون فيما لهم وما عليهم، بل إن الحاكم نفسه ـ كما يقول ابن خلدون ـ لا يتميز

(٦) في ظلال القرآن ـ جـ ٢ : ٣١٥٢ ـ نقلاً عن النظام السياسي في الإسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس: ٢٨.

عن سائر المسلمين إلا بكونه منفذاً للأحكام وحارساً للدين، وهو: الإمام الواجب الطاعة ما قاد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأخذ منه الحق، فإن لم يؤمن إلا بخلعه خلع وولِّي غيره. والواجب إن وقع منه شيء من الجور - وإن قل - أن يكلَّم في ذلك ويمنَع منه، فإن راجع الحق وأذعن فلا سبيل إلى خلعه؛ فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه، ولم يراجع، وجب خلعه، وإقامة غيره ممن يقوم بالحق[7].

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا أجتزئ منها ما ساقه ابن القيم رحمه الله في «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» من أنه قد: وقف عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يسأل من حضر مجلسه من الصحابة: ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة على معصية؟ فقال علي رضي الله عنه: يأتي بأربعة شهداء، أو يجلد حدّ القذف شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين!!.

٣ - الشورى.

المنطق الاستبدادي القهريّ ليس من الإسلام في شيء، بل أن الشورى ركن ركين مفروض، وليس ترفاً أو شعاراً يظهر عند اللزوم، لكنها لا بد من أن تواكب نظام كل دولة راقية تنشد

---

(٧) فصل الدين عن الدولة - إسماعيل الكيلاني - ص١٥٢ نقلاً عن الفصل في الملل والنحل والأهواء.

لرعاياها الأمن والاستقرار، والفلاح والنجاح، ذلك لأنها الطريق السليم الـذي يتـوصـل بها إلى أجود الآراء والحلول؛ لتحقيق مصالح الأفراد والجماعات والدول.

فلا غرو إذن أن نرى الإسلام ـ وهو الدين الرّباني ـ قد اهتم كثيراً بمبدأ الشورىٰ فسمى سورة من سور القرآن الكريم سورة الشورى، وجعل أمر المسلمين كله شورى بينهم[٨].

وقـد حفلت النصـوص من القـرآن الكريم والسنة المطهرة بالأوامر النظرية، والتطبيقات العملية للشورى وذلك معروف مشهور.

٤ ـ الطاعة:

ألـزم الله تعـالى المسلمين طاعة أولي الأمر منهم؛ ما لم يأمـروا بمعصية، أو يجـوروا على شرعـه، أو يتعـدُّوا حدوده سبحانه؛ فعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً:

«اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشيّ كأن رأسه زبيبة» البخاري وغيره.

وعن عبـادة بن الصـامت رضي الله عنه قال: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه؛ فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان» متفق عليه.

(٨) النظام السياسي في الإسلام: ٨٠.

وإذا ترك الانسـان لنفسه الحق في أن يتهاون في الالتزام برأي الحـاكم (أو الرئيس أو الأمير أو الإمام أو. . .) ويتعصب لرأيه المخالف، ويحاول تجميع الناس حوله، فإن هذا يؤدي إلى وجود شرخ في وحدة الأمة الإسلامية وتنازع بين أفرادها؛ فتذهب قوتهم وتأثيرهم على عدوهم[٩].

فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!:

في مقـابـل هذه الأركان العـظيمة الوطيدة يطالب الذيول بالتحول إلى العلمانية التي هي على النقيض مما مرّ. كما أنها ـ فضـلاً عن كونهـا غريبـة عن البيئـة الإسلامية، وطارئة بفعل المستعمر الغربي ـ جاءت لتسوّغ النعرات الإقليمية والقومية في العالم الإسلامي؛ للقضاء على وحدته؛ ومن هنا نرى أن جميع الأحـزاب الإقليميـة والقـومية التي تأسست في أعقاب الحرب العـالميـة الأولى في بلادنـا تبنّت العلمانية صراحةً في أنظمتها الأسـاسية: (الحزب القومي السـوري ـ حزب البعث ـ الحزب العربي الاشتراكي ـ حزب البعث العربي ـ حركة القوميين العرب)[١٠].

لقد «علمن» أتاتورك ـ قاتله الله ـ دولة الخلافة ـ تماماً كما يطالب إخـواننا المثقفون ـ وكان هذا منذ حوالي ستين سنة. . فكيف كان حكمـه وحكم من بعـده؟! الذبح والنفي والتشريح

---

(٩) السابق: ٧٦.

(١٠) فصل الدين عن الدولة: ٢١٧.

وتغيير الأسماء والحروف والأزياء، وعبادة الغرب من دون الله، ثم جعل الدولة في مصافّ أفقر بلاد الدنيا. أهذه هي الغاية إذن؟!

**الأدنى والذي هو خير:**

إن العلمانية ستحرم المجتمع ـ لا قدّر الله ـ من خصائص الإسلام الفريدة:

★ من الربّانية التي ترفعه فوق الدساتير كلّها؛ لأن هذا الإسلام من لدن حكيم خبير، وغيره من صنع البشر الذين تؤثر في تشريعاتهم الأهواء والمصالح ونزغات شياطين الإنس والجن والولاء لغير الله عز وجلّ.

★ من الإنسانية العالمية، واحترام آدمية الإنسان ودينه؛ لأن العلمانية ـ وإن زُعم غير ذلك ـ كرست العرقيّة والإقليمية والطائفية والوثنية والإلحادية.

★ من التوازن الرائع بين مصلحة الفرد والمجتمع.. فالقوانين في البلاد الليبرالية ـ منذ قامت الثورة الفرنسية ـ تحابي الفرد وتدلّله، وتسرف في الحقوق الممنوحة له، ولا تكاد تقيده في تصرفاته إلّا في حدود ضيقة؛ وبذلك يتضخم الفرد، ويطغىٰ على حقوق المجتمع ومصالحه العامة... ويظهر الفرق الرهيب بين المليارديرات والمفاليس.. والبيض والسود. والجنوبيين والشماليين.. إلخ.

والقوانين في البلادالاشتراكية تضغط على الفرد، وتطغىٰ على حقوقه من أجل الجماعة، وتحرمه من حقوقه في التملّك أو

التنقّل، أو اختيار العمل، أو. . . ، أو. . . ، وبهذا تذبل شخصيته وتنكمش مواهبه[11].

★ والعلمانية ستحرم المجتمع من السير نحو الآخرة آمناً مطمئناً؛ لأنها تكرس الرذائل والإباحية، وانهيار النظام الأسري التقليدي.

★ والعلمانية ستفتح الباب ـ باسم الشرعية الدستورية ـ لدخول قوانين تفرض على المسلمين وليست من دينهم في شيء؛ بل هي حرب لله ورسوله، ويراد بها إكفار الناس، وصرفهم عن الآخرة، وتذويب المسلمين في مجتمعات لا تقيم شرع الله مما يسهل ـ عقلاً لا شرعاً ـ القضاء على الدين كله.

هذه هي العلمانية: وهذا هو الإسلام؛ فأي الفريقين أحق؟ ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاه وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يمشي به في الناسِ كَمَن مَّثَلُهُ في الظُّلمات ليس بخارجٍ منها. كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: ١٢٢)

(١١) انظر لزيادة التفاصيل خصائص الإسلام في: شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق. . الدكتور القرضاوي: ١٨ وما بعدها.

# حرية الفكر.. وحرية الكفر

كيف يكون الحال لو قال لك قائل: إن أبا لهب ـ تبّت يداه ـ علامة حضارية وأنموذج ثوري فذ؟ وكيف يكون الحال لو قال لك قائل: إن الأسود العنسي ـ النبي الكذاب ـ رائد من رواد المناداة بحقوق الجماهير المطحونة، الثائرة ضد القوى المستبدة؟ وكيف يكون الحال لو قال لك قائل: إن السبئيين الذين أوقدوا الفتن أفضل من معاوية بن أبي سفيان وعائشة رضي الله عنهما؟ وكيف يكون الحال لو قال لك قائل: إن قرمطيًّا مارقاً عن دين الله تعالى أفضل من طلحة بن عبيد الله، أو عبد الرحمن بن عوف المبشرين بالجنة رضي الله عنهما؛ لأن القرمطي يساري ثائر، أما هما فيمينيان (!!) من أصحاب رؤوس الأموال؟.

لا يأخذنّك العجب؛ ففي عصور تمجيد الأنبياء الكَذَبَةِ، وإحياء سِيَر أعـداء الله تعالى، وفي عصور حب العلماء للدنيا وكراهيتهم للموت يجوز أن ترى وتسمع كل شيء.

هل تعرفون الأسود العنسي؟

إنـه أحـد الكـذابين اللذين ادّعيا النبوة في أرض الحكمة (اليمن) إبّان حياة رسول الله ﷺ، قال عنه ابن اسحق:

«تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان: مسيلمة بن حبيب، الكـذاب باليمـامـة في بني حنيفة، والأسود بـن كعب العنسي بصنعـاء، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس: إني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتُها، ورأيت في ذراعيّ سوارين من ذهب فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما هذين الكذّابين، صاحب اليمن وصاحب اليمامة»[1].

وتقـول عنه دائرة المعارف الإسلامية: «روى البلاذري أنه كان كاهناً أو متنبئاً، ولقب نفسه «برحمان اليمامة»، وتروى عنه هذه القصة، وهي أنه بعد أن نحر عدداً من الجزُر في رحبة صنعاء أكب رأسه الى الأرض، وأنصت حتى سمع صوت شيطانه، ثم رفع صوته وأخذ يردد: «إنه قال لي»، يعني شيطانه، وفي أثناء محاصرته بالليل، خار الأسود كما يخور الثور، وهدّأت امرأته من

(١) الحديث في الصحيحين، راجع أيضاً مختصر تهذيب ابن هشام ـ ص: ٣٦٩

روع الحراس بقولها: النبي يوحى إليه»[٢].

والكتب التي تؤرخ للسيرة منــذ ابن إسحق تثبت دعـوى الأسود الكذّاب النبوة، فهو بذلك طاغوت من طواغيت البشر، فما قولك لو جاءك خاسر وقال: إن الأسود الكذاب بطل، عظيم، ثوري، تقدمي؟! لا تندهش ولا تعجب، ولا تظنن هذا شيئاً من شطحات الخيال ووسوسات الشيطان الرجيم «فإن الشيوعية قد اختارته عمداً لتخلق منه بطلاً أسطوريًا، وتلبسه كل رداء حسن، فهو: أول ثائر يمني!!، وهو أول من حارب التسلط الفارسي على اليمن!!، وهـو أول من حارب التسلط الإسـلامي!! وفي نظر الناس قد يكون أكثر ما يشين الأسود العنسي هو ادعاؤه النبوة، لذلك فإن الشيوعية ـ لأغراض لا تخفى ـ تحاول أن تنفي عنه ادعاء النبوة، وأن تثبت في الأذهان أنه لم يزد عن رجل ثائر، أراد أن يعيد السيادة لليمن المستعمـرة!! وأن يقيم دعـائم العـدل والمساواة، وهكذا فإن الأسود العنسي قد صار بطلاً، بل هو أول بطل في تاريخ اليمن وليس نبيًا كذاباً كما تقول الروايات»..[٣].

### *هل تعرفون القرامطة؟*

إنهم قوم باطنيون لعبوا بالشريعة، وبدّلوها حسب أهوائهم، واستحلوا حرمـات المسلمين، واجتـرؤوا على حرمـة بيت الله المعظم. يقول البغدادي عنهم:[٤] «خرج المعروف منهم بـ «أبي

---

(٢) ج ٢ ـ ص ١٩٩ ـ ط دار المعرفة.

(٣) مجلة الوحدة ٥٦ السنة الخامسة.

(٤) الفرق بين الفرق ـ ص ١٧٥.

سعيد الحسن بن بهرام» على أهل الاحساء والقطيف والبحرين، فأتى بأتباعه (من القرامطة) على أعدائه (من المسلمين) وسبى ذراريهم، وأحرق المصاحف والمساجد، ثم استولى على هجر، وقتل رجالها، واستعبد ذراريهم ونساءهم».

ويقول الدكتور محسن عبدالحميد عنهم: (ولعل أعظم مجزرة وحشية أقدموا عليها هي قتلهم لعشرات الألوف من الحجاج في موسم الحج سنة ٣١٧ عندما استولوا على مكة، فاقتلعوا الحجر الأسود من مكانه، وحملوه معهم إلى البحرين، ثم رُدّ إلى مكانه بعد تدخل الخليفة الفاطمي الذي كان على علاقة حسنة مع القرامطة، باعتبارهم من الإسماعيلية أيضاً)[٥].

ورغم هذه الأفعال الشنيعة فإن «اليساريين المسلمين!!» يعتبرونهم رواد ثورة مسلحة من أجل المطالبة بالحق والعدل، ومن أجل مصالح الأقليات المسحوقة!!

## *هل تعرفون إخوان الصفاء؟*

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري «العاشر الميلادي» ظهرت جماعة سياسية دينية ذات نزعات شيعية متطرفة.... ونزعتهم الفلسفية هي نزعة مترجمي الحكمة اليونانية والفارسية والهندية وجامعيها، الذين يأخذون من كل مذهب بطرف، وتتردد في هذه الرسائل أسماء: هرمس وفيثاغورث وسقراط وأفلاطون... والمحور الذي تدور عليه هو

---

(٥) حقيقة البابية والبهائية ـ ص ٣٢.

فكرة الأصل السماوي للأنفس وعودتها إلى الله كما يصدر الكلام عن المتكلم، وقد أوّلوا القرآن تأويلاً رمزياً لكي يتمشى مع هذا التصور، كما أولوا بعض القصص غير الدينية تأويلاً رمزياً مثل قصص كتاب ألف ليلة وليلة[٦].

وهم باطنيون كما مرّ، يقصدون بهذا كله الانتقاض على الشريعة والطعن في دين الله الحنيف بمحاولاتهم التوفيقية التلفيقية في الجمع بين الإسلام والأديان المحرّفة وشطحات الفلاسفة، والخط العريض الذي يجمعهم وبقية الفرق الباطنية - وهي كثيرة - يبينه الإمام فخر الدين الرازي حين يقول: «اعلم أن الفساد من هؤلاء - يعني الباطنية - على الدين الحنيف أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار، وهم عدة فرق، ومقصودهم إبطال الشريعة، ونفي الصانع سبحانه، ولا يؤمنون بشيء من الملل، ولا يعترفون بالقيامة، إلا أنهم يتظاهرون بهذه الأشياء، ويوضح الإمام الإسفراييني أعمالهم بقوله: وكما أن الباطنية احتالوا في أصول الدين؛ احتالوا في خداع أتباعهم واستمالة قلوبهم، فأباحوا لهم جملة من الملذات والشهوات، وأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات، وتأوّلوا أركان الشريعة فقالوا: إن الفرائض موالاة زعمائهم» . .[٧].

---

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ج: ١ - ص ٥٢٨.

(٧) حقيقة البابية والبهائية - ص ٣٢.

ومع ذلك فإن أهل اليسار المستنيرين يعتبرون إخوان الصفا حملة فكـر، ورادة من رواد الفلسفة المستنيرة الـذين ينبغي الالتفات لتراثهم والاهتمام بأفكارهم وأحوالهم، وإعادة طبع رسائلهم (!!) طرداً للفكر النصوصي الظاهري.

**هل تعرفون السبئيين:**

إنهم قوم باطنيون مشبوهون قتلوا عثمان رضي الله عنه ومشوا في جنازته، وأوقدوا نار الفتنة بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وقتلوا الكثير منهم في حرب لا يزال كل هُمَزَةٍ لُمزَةٍ يستغل آثارها في الطعن في المسلمين، ومع ذلك فإنك ترى من «اليساريين المسلمين»!! من يعتبرهم رواد ثورة مسلحة «بعد أن سيطر اليمين على الحكم»[٨].

**هل نحن في قرن تعظيم الأنبياء الكذبة؟!!**

والدعوى العريضة التي يجابه بها الإسلام في هذا القرن العشرين خبيثة قاتلة، فتحت اسم حرية الفكر الآن يعاد تكريس وتنشيط كل الدعوات الباطنية، ويُعمد إلى تكريم كل أفاك أثيم من حملة الأفكار الباطنية الهدامة.. في الوقت الذي يعاب فيه على الشباب المسلم التمسك بأبسط مظاهر دينه، بل إن الإسلام في كثير من بلاد المسلمين صار تهمة يعاقب مقترفها لانتهاكه حرمات أفكار خدم الشيطان؛ ففى تركيا ـ بلد الخلافة الإسلامية

---

(٨) انظر مقالنا بمنار الإسلام شعبان ١٤٠٥.

الـذبيحـة ـ حكم بالسجن لمدة ست سنوات وثلاثة أشهر على سيدة مسلمـة «بتهمـة» نشرها لكتاب يدعو إلى الالتزام الكامل بأحكـام الشـريعـة الإسـلامية مع التوصية برجم الزانية!! وفي إندونيسيا ـ يمثل أحد المدرسين أمام محكمة سورابايا شرقي جاوة «بتهمـة» تدريس المبـادىء الأسـاسية للإسـلام لطلبة المرحلة الثانوية دون الحصول على تصريح مسبق من السلطات!!

ودائماً ينادي الذين يدّعون الاستنارة، بحرية الفكر والاعتقاد ثم ينسـون ذلك إذا كان الأمر يتعلق بالمسلمين؛ فكلما قامت قائمـة لاجتياح العنـاصـر المسلمـة قام هؤلاء ينددون بالتطرف والإرهاب، ويبشعون هؤلاء «الذين يريدون أن يرجعوا بالناس إلى عصور ما قبل التاريخ»!! وكلهم في مثل هذه الحال يصير مفتياً وفقيهاً في أحكام الإسلام، يبذ في علمه وشموليته ابن تيمية أو ابن حجر، ولا مانع لديهم أن يستشهدوا بشيء من أفعال الصحابة أو بحديث يلتقطونه من هنا أو من هناك.. وينسون آنئذٍ تشدقهم بحـرية الفكـر والاعتقـاد، ويتجاهلون الصفحات الطوال التي سوّدوها تغنياً بالحرية وتغزلاً فيما يطلقون عليه سعة الأفق....

لكن إذا ما ظهـر مارق يدعـو بدعـوى جاهلية، أو بفكـرة باطنية، أو بافتئات على دين الله فسرعان ما تشرع الأقلام، وتفتح قنـوات الإعـلام، ويبدأ التباكي على الحرية الطعينة و التنديد بمحاربة الفكر، وإرهاب المشايخ، وسخافة رجال الدين!.

لقد خرج مارق بالسودان على أحكام الإسلام، وحكم بردته

علماء مسلمون في كثير من بلاد المسلمين، ومع ذلك فلقد ذرفت الدموع - بعد تنفيذ حكم الإعدام فيه - على المفكر الإسلامي!! العظيم، والمجدد الكبير، وتباكى الصحفيون والمشبوهون والمجهولون والشيوعيون في كل أرجاء الوطن العربي، حتى إنهم اتهموا القاضي الذي حكم عليه بالإعدام بأنه مجنون، يحدث هذا في الوقت الذي تحدث في بلغاريا الحمراء مذابح بشعة للمسلمين لإجبارهم على تغيير كل شيء حتى أسمائهم الإسلامية.. ومع ذلك فلا صوت «للرفاق المسلمين». ويموت في أفغانستان مليونان ويشرّد ويشوه خمسة ملايين بمباركة «الرفاق» الذين يحتجون على الشرذمة الثائرة على النظام.

وطلع على الناس مارق آخر يصرح أن محمداً ﷺ ليس آخر الأنبياء!؟ مبدلاً - هو وفريقه من البهائيين - في دين الله أساسه وفرعياته - وحكم علماء الأزهر الشريف بردتهم في الخمسينيات، وحكموا أيضاً - هم وكافة علماء المسلمين في العالم الإسلامي - بكفرهم في الأشهر الأخيرة، ومع ذلك انبرت الأقلام للدفاع عن حرية الاعتقاد وحرية الفكر، وأنه لا تجوز مصادرة حرية المرء في التدين على الطريقة التي يحب، وأنه ﴿لا إكراه في الدين﴾!! ويبكون على الحريات المنتهكة وطرائق التفكير المزرية التي يتحلى بها من يرميه بالردة.

بل إن أحد المعتوهين استغل زخم الحرية الفكرية (المزعومة) فادّعى النبوة بلا مواربة ولا خجل، وجعل صلاته!! قُبْلَةً - نعم قبلة - طويلة تمتد لخمس دقائق تؤديها كل امرأة تريد

أن تنتسب إلى عقيدته الزائفة، ولا مانع أن تكون هذه القبلة في محضر من زوجها «الشهم»، فالبركة التي تُنال من هذا الدعي أكبر من مجرد الغيرة الفطرية والشهامة الفطرية، ولله في خلقه شؤون.

## حرية الفكر وحرية الكفر:

إن من أخطر المسائل التي تطرح على ساحة الفكر الإسلامي اليوم؛ قضية حرية الرأي؛ إذ يطرحها بعض المفكرين المنصفين لتوسيع آفاق الباحثين، وبيان خلود الشريعة الإسلامية السمحة واستمراريتها، كما يطرحها بعض مرضى القلوب ليدعموا باطلاً يذهبون إليه، ويروّجوا بدعة ابتدعوها؛ متغافلين عن هذه المقولة عندما تكون في مصلحة الإسلام، فهي بالنسبة لهم حرية رأي، وبالنسبة لعلماء المسلمين العاملين فكر خارجي أو ظاهري أو سلفي متزمت أو... أو (!!).

وباختصار فإنها عند بعض الناس من ذوي البصائر حق يراد به الحق، وتوسيع آفاق الاجتهاد، وهي عند آخرين حق يراد به الباطل، وتحجيم الفكر الإسلامي، وشل فاعليته.

وقبل البدء أقول: إن علماء الإسلام وفقهاء الشريعة يذهبون في المسائل الشرعية والاجتهاد فيها إلى تقسيم يكاد يكون ثابتاً عند المرتَضَيْنَ من المجتهدين، ويكاد يتفق عليه أهل العدل والإنصاف من السائرين مسيرة السلف الصالح، المتحرين للحق، الناهجين نهج سيدنا محمد ﷺ.

★ ففي جانب العقيدة: يذهبون إلى التسليم بالأخبار التي وردت في الكتاب والسنة، دون خوض في تفاصيل هي أوسع من آفاق العقل البشري، كما أنها من قبيل الغيبيات التي مدح الله تعالى المسلّمين بهـا، الواقفين عند حدودها ﴿والراسخون في العلم يقـولـون آمنّـا به كل من عند ربّنا﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿هدىً للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب. . .﴾ [البقرة: ٢ـ٣].

★ وفي جانب الأخبار التي هي من باب «النص الأصولي» والتي ثبتت ثبـوتـاً قطعيًّا؛ سواءً بالقـرآن أو السنـة. . . يرى علمـاء المسلمين قاطبة أنه لا اجتهاد فيها (لا اجتهاد مع النص). . فلا اجتهاد في حجية ولزومية أركان الإسلام، والمعلومات من الدين بالضرورة، ونصوص أخرى ثبتت قطعاً.

★ وفي جوانب العبادات يذهب العلماء الى أنه لا تجوز الزيادة عليها؛ فإن الله تعالى لا يتعبد إلا بما شرع. . وكل أمر عبادي لم يأت عن رسـول الله ﷺ ردّ على مبتـدِعِـهِ، فقد صحت بذلك أحاديث كثيرة جدًّا، كما أنه ﷺ لم يلق ربه سبحانه إلا وقد كمل الـدين وتمت الشـريعـة، فالعبادات في أصولها إذن خارج أفق الاجتهاد والنظر. .

★ وأمـا في فروع الأحكـام العبـادية والمعاملات، وما يعرض للناس في حياتهم فإن هذا مسرح للاجتهاد داخل الأطر الشرعية العـامـة والخـطوط العريضة للإسلام؛ وذلك نظراً لتغير أحوال الناس وتبدل العصور واختلاف البلاد، وظروف المد والجزر التي تعتري بدن الأمة الإسلامية.

وقد اجتهد علماء الإسلام رحمهم الله تعالى اجتهاداً عظيماً، وتركوا لنا تراثاً فقهياً وعلمياً غنيّاً بالفكر المرن اللين، الذي لا تشنّج فيه، ولا تطاول، وإذا ما وقع شيء من ذلك فإنه في العادة يكون من ناقصي الفقه، الذين كانوا كما جاء في المثل: «ملكيين أكثر من الملك نفسه».

**على بصيرة:**

والنظر في الأحكام الشرعية أمر عظيم؛ لأنه يتعلق بدين الله تعالى وبشرعه الذي شرع. فبدهي ألّا يكون لكلّ أحدٍ النظرُ والاجتهاد.. بل لا بد من توافر أدواتهما، ووجود آلتهما؛ لأنه قد يترتب على ذلك اتباع وتقليد. فمن لم يستكمل عدة النظر فليس له أن يتطاول.

«وعند الاضطرار إلى ذلك لا بد من فهم النص وتحليله، ومعرفة أوجه دلالته التي تشهد لها اللغة، وتدعمها مقاصد الشريعة، وتساعد عليها كلياتها العامة. ولذلك كان الحكم باعتبار النص على ظاهره، أو تحليله لمعرفة ما يستلزمه من وجوه الدلالات من أهم ضروب الاجتهاد الفقهي والاعتبار الشرعي؛ المأمور به في قوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢].

وقد وضع العلماء للتأويل والتفسيرشروطاً، منها:

■ أولاً: ألّا يرفع التأويل ظاهر المعنى المفهوم من اللفظ؛ حسب القواعد اللغوية، وأعراف العرب في التخاطب بهذه الألفاظ.

■ ثانياً: ألّا يناقض نصًّا قرآنيًّا.

■ ثالثاً: ألّا يخالف قاعدة شرعية مجمعاً عليها بين العلماء والأئمة.

■ رابعاً: مراعاة الغرض الذي سيق النص له؛ من خلال أسباب النزول أو الورود[9].

فإذا أوّل الناظر الدليلَ بدليل آخر يظنه حجة وليس بذلك فذلك هو التأويل الفاسد، أو البعيد، وإذا أوّل بلا دليل أصلاً فذلك «اللعب» كما يقول الأصوليون، ومثل له بعضهم تفسير قوله تعالى: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ بأن المراد بهما أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ بأن المراد بها عائشة ـ رضي الله عنها ـ (!!)[10].

ومن أنواع التأويل الباطلة المردودة:

أ ـ التأويل والتفسير الصادران عن غير المؤهل؛ ممن ليس لديه تحصيل علمي كاف.

ب ـ تأويل المتشابهات بدون سند صحيح.

جـ ـ التأويلات التي من شأنها أن تقرر مذاهب فاسدة، مخالفة لظواهر الكتاب والسنة.. أو لما أجمع عليه المسلمون.

---

(٩) كتاب الأمة التاسع ـ ص ٤٤.

(١٠) أصول الفقه للعلاّمة الشنقيطي رحمه الله تعالى ـ ١٧٧.

د ـ التأويل؛ مع القطع بأن مراد الشارع ذلك دون دليل.

هـ التأويل القائم على الهوى، كتأويلات الباطنية[11]. ويشبههم في ذلك أصحاب البدع الجديدة الذين يريدون أن يلوّنوا الإسلام بألـوان اليسارية، أو الذين يفسرون تاريخ الإسلام تفسيراً ماديّاً يلغي كونه سماويًا. أو يلمز القرآن أو الوحي أو غير ذلك.

**الإطار:**

لم يضق الفكر الإسلامي أبداً بالخلاف الذي يمليه الحق؛ أن يكون للنفس فيه حظ، أو للهوى عليه سلطان.. لكنه يرفض الابتـداع وترويج توجهات تحارب شرع الله ـ تحت اسم حرية الـرأي والاجتهـاد ـ وإن بدت مغلفة بالمنطق المنمق والحجج المـزورة.. والشـواهـد كثيرة على ذلـك في تاريخ الإسـلام، وتتجسد باهرة متألقة في موقف إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه حين رحل إليه الرشيد في إحدى حججه مع أولاده، وسمع منه ـ الموطأ ـ ورغب أن يعلّقه في الكعبة، ويحمل الناس على العمل بما جاء به، فأجابه رحمه الله: «لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ فإن أصحـاب رسـول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وكل مصيب، فعدل الرشيد عن ذلك»[12].

وفي القرن الذي نعيش فيه نبغت نوابغ تنعي الجمود الذي ران على الفكـر الإسلامي (!!) وتطالب بفتح أبواب الاجتهاد

---

(١١) أدب الاختلاف في الإسلام: ٤٤ ـ ٤٥.

(١٢) السنة ومكانتها في التشريع ـ ص ٤٣١ نقلاً عن أبي نعيم في الحلية.

لإعطاء الفقه روحاً جديدة، ولا بأس أن تقبل هذه المقولة ـ على علاتها ـ إذا ما تحقق ما مر ذكره أول المقالة... وتوفرت في الذي يريد (تجديد الدين) أدوات النظر والاجتهاد. لكن أن يصير أخماس المتعلمين «دينيًا» من غير المتخصصين، وأصحاب المذاهب المنحرفة مجددين ومجتهدين وأصحاب فكر مستنير فهذا ما ينبغي التصدي له ومحاربته ـ على الأقل ـ من منطلق المنهجية، وحمايةً للعقل الإسلامي من التدنّس بالشبهات.

ومن باب الرد بالسلاح نفسه.

الإسلام يحمي حرية الرأي، ويدعمها في الأطر التي سبقت الإشارة إليها.. لكنه لا يحمي الكفر أو الردة.. فليس من قبيل حرية الرأي أن نتطاول على الله تعالى، ولا على رسوله ﷺ.. ولا على شيء معلوم من الدين بالضرورة.. فمن فعل شيئاً من ذلك فعلماء المسلمين سلفاً وخلفاً يقولون إنه مرتد حلال الدم، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ إلا أن يتوب، جاء في مجموعة التوحيد:

من الأشياء التي يصير بها الإنسان مرتداً:

● كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأَحْبَطَ أعمالَهمْ﴾ [محمد: ٩].

● عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث، والمجادلة في ذلك.. والدليل قوله تعالى: ﴿ما يُجَادِل في آياتِ اللهِ إلا

الذين كفروا فلا يَغْرُرْكَ تَقلُّبهم في البلاد﴾[غافر: ٤].

● جحد شيء من كتاب الله ـ ولو آية أو بعضها ـ والدليل قول الله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١][١٣].

بين السلف والخلف:

إن لكل شيء في عصرنا من يحميه ويدعمه ـ حتى الفكر التقدمي المستنير ـ وإن لكل تخصص أصواتاً تنافح عنه، ولا تسمح لغير المختصين قويمي السلوك باقتحام حدوده.. فلماذا لا يجد الدين من يحميه، على كثرة الجهات التي تدعي لنفسها شرف حمايته؟!.

لقد كان أسلافنا رحمهم الله تعالى ليوثاً تقف بالمرصاد لكل «ثعلب» تسول له نفسه التطاول.. أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن وابن تيمية في الرد على الرافضة و غيرهم، والغزالي في «فضائح الباطنية».

بل في عصرنا الحديث وجد صنف من الناس غيور على دين الله، منافح عنه، ففي أول هذا القرن كانت الدراسات الاستشراقية مكثفة جهودها لتقويض دعائم الدين، فقام فريق من

---

(١٣) مجموعة التوحيد ـ ص٤١٠ ـ ط المكتب الإسلامي.

أهل الغيرة والحمية «ورفض أن يتنازل عن شيء من دينه ـ مهما كانت النتائج التي سيتحملها من جراء مقاومته وصموده ـ ووقف كالطود الشامخ يمنع تشويه الإسلام، ويردّ عنه غوائل أعدائه.

ويمثله من علماء هذه الأمة السائرين على هدي رسول الله ﷺ: شيخ الإسلام السابق في الدولة العثمانية الشيخ «مصطفى صبري» رحمه الله تعالى؛ الذي تصدى للكماليين بقلمه، واضطر إلى الهجرة والإقامة في مصر.. وترك بلده من أجل عقيدة رفض أن يساوم عليها، والشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار، وشيخ الأزهر محمدالخضر حسين، والشيخ محمد عبده الذي تصدى للرد على الفرنسي «رينان» بعد أن ألقى محاضرة «بالسوربون» هاجم فيها الإسلام.[14]

●● لماذا لا تقوم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والأزهر الشريف بمصر. والزيتونة و«القرويين» بتونس.، برصد هذا النشاط (بإيجابية ونشاط) والتصدي له، وحماية الشباب منه؟

●● لماذا تسمح الصحافة الحرة لنفسها بتبنّي هذا الغثاء ونشره؛ في الوقت الذي لا تنشر فيه ردود الغُيُرِ على الدين، والبقية المخلصة لحدود الله ومحارمه؟

●● أين العلماء الذين يتصدون للشباب ذوي التوجه الإسلامي، ثم يدفنون رؤوسهم في رمال حب الدنيا إزاء هذه المفتريات والأباطيل؟

---

(١٤) فصل الدين عن الدولة، للأستاذ إسماعيل الكيلاني: ١٧٢.

●● إنني أطالب الصحافة الإسلامية بمطالب أسأل الله تعالى أن ييسر تنفيذها:

ـ أن تتبنى إحدى الدوريات ـ في جملة جهدها المشكور لخدمة الإسلام ـ توجيه كتب للجهات الرسمية المعنية بهذا الشأن، ولفت الأنظار إلى ضرورة قيامهم بواجبهم في حماية الدين من أدعياء (التجديد والاستنارة).

ـ حث بعض العلماء ذوي التوجه الطيب، والأفق الواسع على التصدي لهذا التيار، والكتابة في مثل هذه الأمور؛ بدلاً من التركيز على قضايا قتلت بحثاً ودرساً.

ـ أن يقوم تنسيق عام مشترك بين الصحف والمجلات الإسلامية لإعداد أعداد خاصة متكاملة، تصدر في توقيت واحد ـ على نطاق المجلات الإسلامية جميعها ـ في شكل تظاهرة إعلامية لصد الغزو الفكري المشبوه ودحض أباطيل وفرى المفترين.

صحيح أن بعض المجلات تقوم بجهد ملحوظ في هذا الصدد، لكن لو قام عمل صحفي مشترك بين المجلات الإسلامية كلها لكان له تأثير طيب، خصوصاً أن هؤلاء «المجددين المستنيرين» لهم علاقات قوية مع الصحافة اليسارية على مستوى الوطن العربي كله..

ألا هل بلّغت؟ اللهم فاشهد:..

## القاعدة . . وحتمية إيقاظ الحس الإسلامي

■ لو دقّقنا النظر في أحوال عوام المسلمين ـ الذين يشكلون القاعدة الإسلامية الفعلية ـ لأمكن أن نلحظ وجود فئتين تستحقان الاهتمام والتأمل:

فئة منهما تحب الإسلام، وتحاول التزام حدوده، والعمل بشرائعه؛ لكن رؤيتها لهذه الحدود قاصرة ضيقة، لا تتعدّى اعتقاد أن الإسلام هو إقامة الصلوات الخمس، والإتيان ببقية الأركان، دون أن يتصوروا أن الإسلام ـ فهماً وممارسة ـ ينبغي أن يغطي جوانب الحياة كافة.

وفئة ثانية تتعاطف مع الإسلام، وتنتمي إليه؛ لكن ليس بأكثر من الانتماء الاسمي، ربما لأنهم ولدوا في بلاد إسلامية؛ ولآباء مسلمين.

وهذه الفئة تميل أكثر ما تميل إلى الأخذ بالمعطيات المادية، وفي ذهنها ـ خطأً وتقصيراً ـ أن الالتزام بالدين قد يحرمها من كثير من هذه المعطيات؛ لذا فهي تلجأ إلى أن تفلسف أفعالها بطريقة مضحكة فيها كثير من المبالغة في الاقتناع بما هم عليه Over Correction بحيث إنه يمكن لبعضهم أن يعزوا كل شيء إلى الدين، وأنه لا يعارضه، فيقعون في تناقضات تورطهم في فتاوى مغلوطة، يوهمون بها أنفسهم أنهم ـ هكذا بحالهم، وعلى ما هم عليه ـ غير مقصرين في شيء أبداً؛ اللهم إلا في أشياء خفيفة (كترك الصلاة!! أو التعري بالنسبة للمرأة، وغير ذلك من أشياء يعتقدون أنها لا تخدش الإيمان كثيراً).

**أفق آخر:**

● ولو فكرنا أن نذهب إلى أفق أبعد قليلاً، وسألنا واحداً من عموم المسلمين العرب عن سريلانكا مثلاً فسوف تختلف الإجابات بطريقة لافتة للانتباه، فيقول لك واحد: إنها دولة صغيرة تقع جنوبي الهند، ولو كان أكثر ثقافة، فسيقول إنها كانت منفى الشاعر الفذ «محمود سامي البارودي»، أيام كان اسمها «سرنديب»، وسيقول لك ثانٍ: إنها بلد العمالة الرخيصة، والخدم الذين لا يكادون يتقاضون أجراً عن الخدمة، أما الثالث فأتصور أن يقول: أنتم أيها الشرقيون، لماذا تصدعون رؤوسنا؟ دعونا وشأننا، المهم أنه لن يجيبك أيُّهم، ولن يعرف أحد منهم أن بها أكثر من مليوني مسلم، يلقون أبشع صنوف العسف والإبادة، والتذويب في مجتمع وثني غارق في وثنيته حتى الأذقان.

● ولو سألت بعضهم عن الهند، فسيجيبك واحد بأنها «القارة» الملأى بالعجائب، وهي بلد «غاندي العظيم!!» وقادتها من رواد عدم الانحياز، كما أنها بلد الأفلام السينمائية الإنسانية، والموسيقى المتميزة!!!

وسيجيبك ثانٍ بأنها بلد البخور الممتاز، والشاي المدهش والتوابل، والعمال المتفانين في العمل، لكن لن يجيبك أيهم بأنها بلد كبرى الأقليات الإسلامية في العالم كله، وأن مسلميها أنافوا على المائتي مليون، وأن أعداءهم من كل ملة ونحلة يكيدون لهم، ويشنون عليهم حروب إبادة منظمة، يضيع ضحيتها آلاف المسلمين بين الحين والحين.

● ولو سألت بعضهم عن إندونيسيا ـ البلد الإسلامي الذي يعزل عن إسلامه تحت سمعنا وبصرنا ـ لقيل لك: إنها بلد الغموض، والتقاليد العريقة، والغابات النارية، والقمصان المزركشة برسوم التنين الأسطوري، والزخارف الثعبانية الوحشية، لكنه بالتأكيد لن يعرف أن مسلمي إندونيسيا الذين يزيدون على ٩٠٪ من مجموع السكان صاروا بين بلايا جائمة تحيط بهم من كل د.وب، فالمنصّرون يعملون في سُعار من أجل تحويل إندونيسيا خلال عقدين من الزمان عن الإسلام ـ لا قدر الله ـ وببغاوات القوميات الوثنية يقبضون على رقاب الناس بقوة السلاح ليجبروهم على تبني مبادىء «البانجاسيلا» الكفرية، ويدمرون كل من يقف في سبيل توجههم أو يحاول الحيلولة دون هذا الأمر الخبيث، والمسلمون هناك يجهلون الكثير من أمر دينهم، ولا يجدون من

يعلمهم أحكـامه، بعد أن تعرضوا لعمليات تشويه لمعالم هذا الـدين في نفوسهم، والذين صاروا منهم على شيء من الفهم للإسلام الصحيح ألقي بهم في غياهب السجون والمعتقلات.

ولن تكـون الإجـابـات أفضـل لو سألت عوام المسلمين وآحادهم عن أحوال إخوانهم في فطاني أو الفلبين، أو في إثيوبيا أو لبنان، أو. . . . أو. .

المسلمون كالجسد الواحد:

إن الحس الإسـلامي بالمسؤوليـة تجـاه مشاكل المسلمين في العالم بات مفقوداً بين جماهير المسلمين العريضة ـ ربما بسبب همومهم الكثيرة ـ علماً بأن من بديهيات الإسلام، ومن القواعد التي يحفـظها ويرددها كل الناس: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم؛ المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً (متفق عليه)، مثـل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كالجسد. . (من حديث متفق عليه). المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخـذلـه (متفق عليه)، المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

العصبيات المنتنة:

ولقد نجحت وسائل الإعلام الإسلامي في إبراز قضايا أقل ما يقال عنها إنها مشبوهة، وجعلت جماهير المسلمين يشغلون أنفسهم بها، ويرفعونها في كثير من الأحيان في مواجهة الإسلام، كقضية القوميات مثلاً، مع تجاهلهم الكلي لطبيعة هذه القوميات وجـذورهـا؛ إذ أنهم يرفعـون القـوميـة الفـارسيـة القـديمـة

(المجوسية)، والفرعونية التي كانت تمجد ظواهر الطبيعة وتعبد الحجارة، والقبليات الأفريقية التي تعبد الطواطم، والعرقيات كالطورانية والبربرية والفولانية والعربية ـ مهما كانت طبيعة الظلال التاريخية الساقطة على هذه القوميات والعرقيات ـ يرفعونها في مواجهة الإسلام، ويقدمونها عليه، ناهيك عن وحدة الديانات!! ووضع الدساتير الوضعية في مواجهة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم تجاوز الأمر إبراز القوميات إلى إبراز الأفراد المشبوهين والأفكار المشبوهة، في ذات الوقت الذي تُغْتال فيه سير الأبطال الفعليين عمر وعلي ومعاوية وابن العاص رضي الله عنهم وصلاح الدين و غيرهم..

إننا نفتقد في زماننا المسلم الفاعل المتفاعل؛ الذي يؤثر في الأحداث وتؤثر الأحداث فيه، الذي يغار على دينه أكثر مما يغار على معاشه الشهري، والذي يحس أنه يحمل مسؤولية إيصال دين الله إلى الجيل التالي، أو إلى مكان آخر، خارج حدود قوميته أو جنسة أو قارته إن أمكنه ذلك.

عصر التبرير:

والمسلمون الأوائل ـ رضي الله عنهم ـ كانوا نماذج فذّة لاستشعار دورهم القيادي في إيصال رسالة الإسلام الصحيحة إلى مختلف بقاع الأرض. ولقد أوصلوا بدمائهم وجهادهم في سبيل الله تعالى الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ بل إن

أحدهم وقف على شاطىء الأطلسي ليقسم بالله إنه لو كان يعلم أن وراء ذلك البحر أرضاً لخاضه للوصول إليها؛ لينشر كلمة الله تعالى ويبلغ رسالته.

وعلى النقيض تراجعنا نحن لمواقع الدفاع ـ على حد قول الأستاذ عمر عبيد حسنة ـ وتبرير أمجاد أسلافنا وكأنها أخطاء ووصمات عار. فترى عشرات الكتاب يبررون الفتوح الإسلامية، ويلتمسون لها المعاذير، ويختلقون التبريرات في أن الإسلام انتشر بالكلمة ولم ينتشر بالسيف، بينما كان أسلافنا من العلماء الحقيقيين. قادة فكر وقادة سيف.

ـ فمن منا لا يعلم أن فقهاء الصحابة والتابعين كانوا أول من يتقدم جيوش الفتح؟

ـ ومن منا لا يهتز عندما يسمع كلام العالم العامل عبدالله بن المبارك الذي قاله لأحد أهل الفضل من زمانه:

يا عابدَ الحرمين.. لو أبصرتَنا
لعلمتَ أنك بالعبادة تلعبُ

من كان يخضِبُ نحرَهُ بدموعِهِ
فنحورُنا بدمائنا تتخضَّبُ

او كان يتعبُ خيلهُ في باطلٍ
فخيولُنا يومَ الكريهة تتعبُ

ريحُ العبير لكم، ونحن عبيرُنا
رهجُ السنابك.. والغبار الأطيب..؟

ـ ومن منا يجهل دور ابن تيمية في قتال الهمجيين، ودور العز بن عبد السلام في قتال الصليبيين المتعصبين؟ لقد صرنا ندافع عن كثير من تصرفات أسلافنا وكأنها من الأخطاء، بينما العيب من عيوننا ومن أفواهنا.

**هم... ونحن:**

وفي الوقت الذي تعمل فيه اسرائيل على جمع شتات أبنائها، وتبحث عنهم تحت كل حجر، وتبذل الكثير في استقدامهم من مساقط رؤوسهم إلى إسرائيل، في عمليات تشبه القرصنة في بعض الأحيان؛ لا تفرق في ذلك بين يهودي أوروبي، أو أمريكي، أو أفريقي من السود، أو صيني من الصفر، أو روسي من الحمر، المهم أنها تأتي بهم مهما كلّف ذلك؛ لأنها تعلم أن هؤلاء يشكّلون لها القوة العسكرية، والعمالة، والعقول المدبرة، وغير ذلك.. في الوقت ذاته قامت التقسيمات الإقليمية بين بلاد المسلمين حاجزاً دون استثمار الطاقات الإسلامية العملاقة، وصار المسلم العربي ـ ناهيك عن غير العربي ـ غريباً في بلاد العرب، لا يستطيع ان يدخل إحدى الدول إلا بشق النفس، فمات ـ نتيجة لذلك ـ التواصلُ بين أعضاء الجسد الواحد، ولم يعد أي منها يحس بآلام الجزء الآخر، وكأن المراد أن يؤكل الجسد الإسلامي عضواً عضواً، دون أن يمنع ذلك مانع؛ لا قدّر الله تعالى.

**جفوة وتخوف:**

أعود إلى الكلام عن جمهور المسلمين فأقول: إن وسائل

الإعــلام ـ لأغــراض لا تخفى ـ خلقت جفـوة في بعض بلاد المسلمين، ونـوعـاً من الحـذر والتخـوف في بلاد أخرى بين الإسلام ودعاته، وبين القاعدة الإسلامية العريضة؛ وذلك عن طريق الضرب على أوتار شهوات النفوس ، أو التخريف من الأحكام الإسلامية التي تطبق على التجناة، وكأن وسائل الإعلام تتهم النـاس جميعـاً ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ بأنهم صاروا لصوصاً أو قتلة أو زناة. . أو. . . أو. . ، وتوحي لهم أن الإسلام سيفعـل بهم الأفـاعيل، وسيطبق عليهم حدوده التي ستتـركهم مشوهين مقطّعي الأيدي والأرجل.

بل إنها إذا عرضت لشخص نظيف ـ ولو من وجهة نظرها ـ فإنها تحاول أن تلقي حوله ظلالاً وإسقاطات للتشكيك في صدق انتمائه وحسن إسلامه، فقد قرأت في إحدى المجلات العربية عن أحد الأشخاص جملة أدعوك أيها القارىء الكريم لاستيحاء أبعادها، قالت المجلة عنه إنه: «مؤدب، منضبط، طيب القلب، متدين، ليس فيه من مظاهر التطرف غير لحيته التي يطلقها على طريقة الجماعات الإسلامية»؛ تأملوا الجملة الأخيرة ومراميها.

الإفتاء البرجوازي:

ومن الـظواهـر اللافتة للنظر أن كثيراً من المسلمين الذين يشغلون مناصب بارزة، يعلنون أحياناً في المحافل أنهم مسلمون ـ وهذا شيء يشرف ويدعو للفخر والانشراح ـ ولكنهم أحياناً قد يورطهم بعض الخبثاء فيضطرون إلى الإدلاء بتصريحات تعتبر فتـاوى، سُرْعـان ما يفـرح بهـا المتـربصـون، وتتناقلها وسائل

الإعلام؛ فيقع ضرر لا يريده هؤلاء الذين تكلموا عن غيرقصد، وأيضـاً عن غير علم، فبعضهم صرح أن الحجـاب ليس من الإسـلام، وأنـه من المـوروثات التركية أو الفارسية، وبعضهم يصرح أن المرأة التي تحتجب هي الفقيرة التي تستر نفسها، أو القبيحة التي تواري قبحها، وثالث يصرح - في كلام طويل مملٍّ - أن المرأة العربية في سبيلها لتحطيم قيود العبودية التي فرضتها عصور التخلف!!! بل إن قانوناً يتعلق بأحوال النساء قد أُلغي بعد أن ثار حوله جدل واسع، وصرح كثير من العلماء بأنه مخالف للشريعة في بعض بنوده، فما كان من بعضهم إلا أن صرح أن العـدول عنـه ردة (ردة عن ماذا؟ وإلى ماذا؟ لست أدري) وأن النسـاء ينبغي أن ينتفضن لمـواجهة الخطر؟! هكذا والله، وشر البلية ما يضحك.

الجماهير معذورة:

والقـاعـدة الإسـلامية التي تـورط في مثل هذه الشبهات ألتمس لهـا بعض العذر، لأن الإسلام لم يُقدَّم لها: إما بسبب الممـارسـات القمعيـة الـدورية، وإما بسبب التأثير الإعلامي الملحاح،وإما بسبب هذين العاملين - وهو الراجح - مضافاً إليهما قصور الدعاة، وعدم حدوث التأثير الكافي منهم على المجتمع - وهـذا سبب رئيسي - فكثير منهم قاصـر، ولا يستـطيع توصيل المفاهيم الصحيحة، فوقع بذلك كثير من الناس في شيء من الحيرة، والتناقض بين أفعاله وانتمائه؛ فهو مسلم، لكنه يحب الحياة، ويظن لو بعقله الباطن أن الإسلام قد يحرمه من كثير من

مباهج الحياة، وهذا خطأ كبير بالطبع، فكل طيب في الكون أحله الله تعالى، ولم يحرّم إلا الخبيث، وبما أن العلي الخبير هو الذي حرم الخبائث، فيجب أن يُعْلَم أن ذلك لصالح البشر، وأن حياتهم تستقيم وتصلح بهذا الحلال، كما أنه ليس في ذلك نوع من المحرمات، فالبدائل الحلال موجودة ومتوفرة ﴿وإن تَعُدّوا نعمةَ اللهِ لا تحصوها، إن الإنسانَ لظَلومٌ كفار﴾.

ولن تجد في أي دستور قواعد أعظم وأروع من القواعد الإلهية التي تخدم مصالح المجتمع كله: لا ضرر ولا ضرار، كل طيب حلال، كل خبيث حرام، أنتم اعلم بأمور دنياكم، من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه؛ إلى غير ذلك من القائمة الرائعة من قواعد الإسلام وكلياته، التي بغيابها من حقول التطبيق حصل الفصام بين واقع المسلمين وبين قلوبهم.

### مسؤولية الدعاة

● ومطلوب من الدعاة إزاء التحديات الكبيرة أن يتقوا الله في أنفسهم وفي مجتمعاتهم، ويكونوا على مستوى المسؤولية العظمى الملقاة على عواتقهم؛ رحمة بأنفسهم وبالناس، وإزالةً للشبهات التي يتفنن المشبوهون في زرعها في الجسد الإسلامي الواحد.

● وعليهم أن يزيلوا الجفوة ـ المصطنعة ـ بينهم وبين حكام المسلمين، وعرّفوهم أنهم إنما يريدون خدمة هذه المجتمعات

التي تخلفت عن ركب الحضارة قروناً؛ بسبب تقلبها على جمر التيارات المختلفة، وأن عليهم المبادرة بالأخذ بالأسباب المادية الحضارية التي أخذ بها غيرهم ففاقوهم علماً وحضارة، لأنهم سلكوا المسلك المادي الصحيح، وأمور الدنيا كلها يسبق فيها من يأخذ بالأسباب، ويبدأ بالمقدمات العلمية الصحيحة؛ بغض النظر عن كونه مسلماً أو غير مسلم، وتلك سنة الله تعالى في خلقه، ﴿ولن تَجِدَ لسنَّةِ اللهِ تبديلاً﴾.

● وعليهم أن يزيلوا من أذهان العامة ـ وهذه مهمة تحتاج إلى حكمة وصبر ـ أن الإسلام قد يحرمهم من أي شيء طيب، ويبينوا لهم أن في الإسلام سعادتهم في الدنيا والآخرة، وجماهير المسلمين ـ ولا شك ـ تتقبل ذلك إذا عرض لها من داعية فَطِنٍ بأدواء النفوس وعللها.

● وعليهم أن يتيقظوا لكل الكائدين للإسلام والمسلمين، وللمسببين لهذه الجفوة الحاصلة بينهم وبين الحكومات، وأوشكت أن تقع بينهم وبين الشعوب، وهؤلاء الكائدون مهرة في التدليس والتشويه والإساءة، ويحتاجون إلى عيون يقظة تراقبهم، وقلوب حذرة تتحسس أفعالهم.

● وعليهم أن يكونوا أكثر إيجابية وتفاعلاً مع المجتمع، فأهل الفهم معزولون، ولا يكادون يشغلون أنفسهم بمعايشة الجماهير التي تحتاج إلى الفهم، وأهل التقصير منهم يشوهون عن غير قصد، لكن المطلوب كما أشرت أن يقدّموا خدمات ملموسة قدر

الإمكـان للنـاس، ويحاولوا إذابة الجليد، عسى الله أن يصلح القلوب والنفوس.

● يقـول الـدكتور محسن عبدالحميد: «اليوم، وبعد التجارب التي مرت بها (الصحوة) محاولةً التمكين للوعي الإسلامي، لا بد للعقلاء أن يدركوا سنن الله في الوجود ويفهموا طبيعة العصر وكيفيـة إحـداث التغيير فيـه، فينصرفوا إلى بناء القاعدة بعلم وتخـطيط، ويبتعـدوا عن الخـوض في المضـاربـات السياسية والاصطدامات الفوقية» إ. هـ.

● وعظمى الخطوات التي تزيد ـ بفضل الله ـ من تأثير الدعاة، وتوفر عليهم جهداً عظيماً، هي أن يفهموا أن الرسول ﷺ بعث ليبلغ ا لإسلام باسم الإسلام فقط لا بأسماء أخرى، وأنه ﷺ نهى عن العصبيات والانتمـاءات، والتفرق وتعدد الولاءات، وظاهر أنه منذ أن انقسم المسلمون سلط الله عليهم أنفسهم، فليتق الله هؤلاء الذين ابتكروا مسميات تعصبوا لها أكثر من تعصبهم لكتاب الله، وآمنوا بأشخاص سلموا لهم قيادهم أكثر من تسليمهم بكلام رسول الله ﷺ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.

# أسلمة المعرفة

حين انساح سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم في المشارق والمغارب، ناشرين دين الله تعالى، مقدمين للعالم - الغارق في الوثنية آنذاك - هدياً قرآنيًا مجيداً، لم يكن بين أيديهم من التراث المادي المحسوس معشار ما كان للأمم الأخرى صاحبة الحضارة المادية، وإنما كان معهم القرآن، والعدل، والتوحيد الصحيح. فلما اختلطوا بالأمم ا لأخرى وعايشوها وجدوا تراثاً حضاريًا، ومدنية راقية، بالقياس إلى حياتهم البدوية الخشنة.

ورغم الزخرف المادي والبريق الجذاب، فقد كان إنسان هذه الحضارات مغموطاً، يرسف في أثقال الوثنية، والطبقية وترف

السادة، والتشاحن، والبغضاء، وغير ذلك من أمراض الأمم التي تعجل بنهايتها، فقدم المسلمون لهذه الأمم مكان الوثنية والشرك توحيداً حقًا، ومكان الطبقية مساواةً وعدالة. ومكان الترف زهادةً وفعالية، ومكان البغضاء سماحةً جعلت الهندي والفارسي والرومي والبربري، والعربي يعيشون جميعاً في كنف أمة واحدة، ذابت فيها معاني اللون والجنسية والطبقية والبهرج الكاذب، بل جعلت أبناء الأديان الأخرى يرحبون بالعيش في ظلال الإسلام، بعد أن لاقوا من حكامهم وكهنتهم كل طعوم الحنظل والمعاناة.

## علوم إسلامية جديدة:

ومما يدعو للفخر أن هؤلاء الأعراب، لم يخطفهم بريق الترف، ولم ينحنوا أمام علوم الأمم المفتوحة فاغري الأفواه بدهشة وبلاهة، بل كانوا أشبه بالجسم الذي يأخذ الأغذية فيحيلها إلى مواد قابلة لأن تهضم، ثم يستفيد منها، ويوزعها على الأعضاء بحسب الحاجة، ويطرح بعد ذلك الفضلات، ويطرد السموم، ويخرج الأشياء غير القابلة للهضم.

هذا ما حدث تماماً من المسلمين مع العلوم التي انفتحوا عليها مع الفتوح الاسلامية، فنتج عن تلقّيهم لعلوم اليونان والهند وفارس والروم، وعن تمثلهم وهضمهم لهذه العلوم، نتجت علوم إسلامية نظرية وتجريبية جعلت من الأمة الإسلامية الأمة العظمى لقرون طويلة، قبعت إبانها أوروبا والدويلات التي لم يفتحها المسلمون في غياهب عصورٍ اصطلح على تسميتها بالعصور الوسطى المظلمة، ثم دارت الأيام، واستفادت أوروبا من هذه

العلوم نفسهـــا، ومن التنـــظير الاســلامي لهــا، فكـانت علوم المسلمين منطلقها نحو حضارتها المعاصرة باعتراف مفكريها:

يقول الفيلسوف الإنجليزي «اللورد برتراند راسل» ١٨٧٢ - ١٩٧٠ -:

**إن الأسلوب العلمي ولد من زواج مذهبين فكريين، أتت بكل واحـد منهمـا إحـدى الحضـارات العـظيمـة، أولهمـا: تنظير الإغريق، وثانيهما: اختبار العرب، فالإغريق هم الذين أبدعوا ما سميناه بالتنظير، أي بناء الفرضيات، وتخيّل النظريات لتفسير واقـع العلم الـطبيعي، أمـا العـرب فقـد كانـوا سادة التجريب والاختبار، يقيسـون ويفحصون، ويشاهدون ويدونون[1] وعندما**

(١) اهتم المسلمون بالعلم الطبيعي (Physics) وقدّم له الفارابي وابن خلدون وغيرهمـا تعـريفـات دقيقة لا تكاد تختلف عن التعريفات المعاصرة، ولم يكتف المسلمون الأول بترجمة كتب اليونان وغيرهم؛ بل كشفوا ما بها من أخطاء، وصححوها، وأضافوا إليها الكثير؛ حتى إنه يتعين علينا اعتبار هذا العلم من تأسيس علماء المسلمين، وعلى رأسهم: ابن الهيثم والبيروني.

وقد اعترف بذلك كثير من الغربيين كزيجريد هونكه، وألبرت ديتريتش وإيلهـارد فييدمـان، يقـول ديتريتش: «فضل المسلمين على تاريخ الفكر البشري، وأنهم حفظوا التراث الثقافي، ونشروه في الاقطار إنما هو نصف الحقيقة فقط. ونصفها الآخر هو ابتكاراتهم في العلوم الطبيعية».

ويقـول فيلدمـان: «تمكّن المسلمـون من استنباط نظريات جديدة، وبحوث مبتكرة، فأسدوا إلى العلم خدمات لاتقل أهمية عن تلك التي تأتّت عن مجهودات نيوتن وفاراداي ورونتجن» واتبعوا قواعد المنهج التجريبي في =

تزاوج هذان المذهبان في أوروبا ـ وفي عصر النهضة ـ ولد من تزاوجهمـا الأسلوب العلمي» لقـد أقر «راسل» بأن العرب كانوا سادة التجـريب، ولكنه لم يفطن إلى أنهم فعلوا ذلك في ظل التنظير القرآني، الذي لفت نظر المسلمين إلى الطبيعة، ودعاهم

---

=دراساتهم الفيزيائية سابقين روجر بيكون، ورويرت جردستست، وألف ابن الهيثم في الضـوء كتابه (المناظر) ودرس ابن سينا وغيره الهالة وقوس قزح وغيرهما من موضوعات فيزياء البصريات، كما سبق ابن سينا «دويلر» في اكتشـاف النظرية التي تنسب إليه، وتوصل العلماء أيضا الى تقدير الوزن النوعي للأجسام بدقة معجبة مبهرة فقدّر «الخازني» ثقل الزئبق ١٣٫٥ وهو الـرقم العصري نفسه، وقدر البيروني الوزن النوعي للذهب ١٩٫٢٦ وهو الرقم المعاصر أيضاً.

كمـا كانت للعلمـاء دراسـات في الهيولى (المـادة) وانعكاس الضوء وقوانينه، وشرح تكوّن الصور في المرايا المستوية، ودراسات حول انكسـار الضوء، والسراب، والبرق والرعد والسحاب والجليد والمغناطيسية. .

علماً أن هذه بعض إنجازاتهم في حقل الفيزياء فقط، ناهيك عن الطب والجراحة بفروعها، والكيمياء، والنبات وغير ذلك من أبواب التجريب مما لا يسع المجال الإطناب فيه.

انظر: الوعي الإسلامي (٢٨٩ ـ ١٤٠٩هـ) وانظر على سبيل المثال: شمس العرب تسطع على الغرب، دور العرب في تطور العلوم الطبيعية. . للمستشرق ديتريش وما شابه من الدراسات.

استعنت في هذا الموجز برسالة الدكتور صالح بن حميد عن رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ـ جامعة أم القرى

للكشف عن أسرارها، عن طريق التجريب، والاختبار باستخدام العقل والحواس. «التراث والمعاصرة: ٦٢-٦٤».

ومنذ زمان ليس باليسير والمسلمون يعيشون إغفاءة طويلة الأمد، تخلفوا خلالها عن ركب المعاصرة عقوداً كثيرة من السنين، في حين استطاعت أوروبا أن تستفيد من النهضة التي صنعها التجريب الإسلامي، وتنطلق إلى آفاق رحيبة من تسخير سنن الله تعالى في الأنفس والآفاق لمصالحهم التي يبنون بها دنياهم، وأقامت حضارة وطيدة؛ رغم أن بعض أسس هذه الحضارة يصطدم مباشرة بالمفهوم الإسلامي في إعمار أرض الله بما يرضي الله، والاستفادة من الكون المسخّر.

والبديهة المجرّدة تفصح عن لزوم أن يفيق المسلمون من الإغفاءة العميقة التي لم يروا خلالها إلا كوابيس التخلف، وبلايا التبعيات التي لم يجنوا منها إلا استجداء كسرة الخبز، والقماش الذي يستر العورة؛ مقابل تنازل مرير عن مساحات عزيزة من الدين و الديار.

### دعوة لا غبار عليها:

وقد تنادى كثير من مفكري الإسلام بضرورة أن يسعى المسلمون المعاصرون إلى الاستفادة من العلوم المتاحة غربية كانت أو شرقية، والاجتهاد في محاولة اللحاق بركب الحضارة المعاصرة، مع نبذ الأجزاء غير الصالحة في هذه الحضارة العلمانية العرقية، التي لا تقيم وزناً للإنسان خارج ديارها، حتى

لو ألقت بفوائض إنتاجها في البحر؛ محافَظةً على وسائط هيمنتها على الشعوب المحتاجة لأوليات الحياة الكريمة.

وهـذه الدعوة ـ وإن اعترض عليها شكلًا بعض المفكرين الإسلاميين ـ لا غبار عليها، ولها سابقة من فعل سلفنا الصالح الذين استفادوا من الحضارات التي اختلطوا بها، مع فارق أنهم ثَمّ كانـوا هم الأعليْنَ بسبب مصـداقيتهم، وإيمـانهم بالإسلام الخالد، واعتقادهم أنهم أصحاب رسالة سامية.

وهـذا الفارق ـ في رأيي ـ هو الذي يفصّل إجمالَهُ التنظيرُ المعاصر للاجتهاد في قضية أسلمة العلوم ـ أو إعادة صياغتها أو إعادة بنائها، لا يهم الاصطلاح ـ فلقد كانت الأمة آنذاك ذات هوية متميزة، تعتز بأصالتها، وتفخر بما هي عليه، وتحس بسلامة تفكيرهـا، وتـوقن أنهـا تملك المفـاتيح التي ستفتـح للحضارة المرتقبة مغاليق كثيرة ما كانت لتفتح إلا بالإسلام.

والآن نجد الأمر ـ إلى حد كبير ـ قد مال إلى النقيض، فالأمة تذاب في ثقافات الأمم، وتبعد عن أصالتها المتمثلة في دينها وميراث مجتهـديهـا، وتتنكـر للغتهـا.. الأمـة أدمنت التلقي والاستجداء ونسيت العطاء والخصب، وصارت عالةً تتلقى من فتـات التقنيات ما تسمـح به السياسـات ومن العلوم النـظرية فيضاناتٍ تتآكل بها المرافىء التراثية والمعطيات الإسلامية.

وليس ثَمّ سبيل للّحاق بالركب، وتحقيق نقلة متميزة إلا إذا قامت حركـة شاملة للنهـوض العلمي تجبـر النقص، وتسـد

الفجوات العلمية والحضارية، وتنقل الأمة الإسلامية إلى عتبات القـرن الحـادي والعشـرين، حتى لا تنهش لحومَهُم الحضارةُ الـوحشية المجـردة عن العـاطفة، وتسحقهم بآلياتها المعقدة، ورؤوسها النووية، وأسلحتها البيولوجية.

## إعادة صياغة العلوم:

إن إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام - كما يقول الدكتور الفاروقي رحمه الله - هو «ما نعنيه بكلمة أسلمة العلوم، أي إعادة صيـاغـة المعلومـات وتنسيقهـا، وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها، وتقسيم الاستنتاجات التي انتهي اليها، وإعـادة تحـديد الأهداف، على أن يكون ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة تثري التصور الإسلامي وتخدم أهداف الإسلام.

وللوصول إلى ذلك الهدف لا بد لقضايا الإسلام الأساسية، وأعني بهـا: وحـدة الحقيقة ووحدة المعرفة، ووحدة البشرية، ووحدة الحياة، والإيمان بوجود هدف وراء خلق الكون والإنسان، وتسخير الكون للإنسان، وعبودية الإنسان لله عز وجل، لا بد لهذه القضايا كلها أن تحل محل التصورات الغربية، وأن يتحدد على أساسها كيفية إدراك الحقيقة وتبويبها».

## شروط لا بد منها:

لكن هناك شروطاً ينبغي وضعها في الحسبان قبل الشروع في هذه «الأسلمة» حتى تتحقق الغاية المرجوة منها، ويحصل الجمـع بين الهـدفين المـرادين: استعادة الهوية المميزة للأمة

الإسلامية إلى أرض التطبيق، والمحافظة عليها من الذوبان في هويات الأمم الأخرى التي تشاركنا الوجود الإنساني والمنافع الحضارية، لكنها تفارقنا في التصور لأهداف الوجود، والغاية من هذه الحياة، ليس إلا لأنها أمم ذات حضارة دهرية في روحها، وفي رؤيتها لهذه الحياة.

وتتلخص هذه الشروط والضوابط فيما يلي:

● اولاً: استثمار الانتعاشة الإسلامية المعاصرة، وتعهّدها بالرعاية والتوجيه، وصيانتها عن أيدي المتربصين بالإسلام، ثم تنمية الوعي الإسلامي بين الجماهير التي تكوّن الروافد المعطاء التي ترفد الأمة بالعلماء والمفكرين وأهل الاختصاص والذكر، وإعادة تأصيل حب الله ورسوله في نفوس العلماء ـ على اختلاف تخصصاتهم ـ لينطلقوا من منطلق الدينونة لله تعالى، لا من المنطق الدهري الذي يحكم العلوم التجريبية ومعظم العلوم الإنسانية.

وما لم يتحقق العلماء بالإسلام وأصوله، ويصدروا في أفكارهم وتجاربهم عن هذا المنطلق فإن الناتج لن يكون سوى استمرار المراوحة في مواقعنا، واستمرار في عصيان الله تعالى الذي أمرنا باكتناه أسرار الكون وفض مغاليقه. وهذه النقطة هي ما أطلق عليه المفكر الأستاذ عمر عبيد حسنة «أسلمة العلماء» حين قال:

[إن الطرح الصحيح هو أسلمة العلماء وليس أسلمة العلوم، فإذا

تحقق علماؤنا بالقيم الاسلامية جاءت العلوم نتيجة طبيعية لذلك. إن الكثير من علمائنا اليوم - في الجامعات ومراكز الأبحاث التي انتهوا إليها خارج العالم الاسلامي - هم أشبه بمعاجم في خزائن الغرب، يقدمون خبراتهم و اكتشافاتهم لتصب في نهر الحضارة الأوروبية الأمريكية بعيداً عن القدرة على توظيفها لخدمة قيمهم الثقافية والدينية. فهم - من جهة - عاجزون بسببٍ منهم أو بسبب من العوامل الخارجية عن إنتاج العلوم ذات الأهداف الإسلامية، ومن جهة أخرى هم عاجزون عن توظيف واستخدام مهاراتهم ونبوغهم للضغط والانتصار لقضايا أمتهم الإسلامية].

● ثانياً: التعامل مع القوانين العلمية التطبيقية والنظرية وفق المواريث الإسلامية على غرار ما تعامل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم مع علوم الهند واليونان والروم، أي نتقبلها مع استعلائنا بديننا وعقيدتنا، لا بمنطق طأطأة الرؤوس والانبهار، فنقبل ما يتفق مع أسس التفكير الإسلامي، ونرفض ما هو خلاف ذلك، ونطرح عنا الانبهار الذي لا ينتج عنه إلا القبول الأعمى بوجهات النظر الأوروبية في التعامل مع الكون والحياة والعلوم.

إن من أبناء جلدتنا من طالب بنهضة «الشرق» أو نهضة «بلاد العرب» لكن من خلال نظرةٍ عوراء استجدائية، تشحذ من الغرب فكره وعاداته وسلوكياته ونظرياته، مهما كانت هذه الأفكار والعادات والسلوكيات، ورأوا أن «الشرق» أو «بلاد العرب» لن تنهض إلا إذا سارت على خطى أوروبا [حذو النعل بالنعل] ولكن

هذا الطريق لن يجعلنا أوروبا بالتأكيد، بل سينزع عنا إسلامنا ويتـركنـا عراة من الـدين ومن الحضـارة، ورحم الله الفيلسوف المسلم محمد إقبال الذي قال: «الكعبة لاتجدد بجلب الحجارة اليها من أوروبا».

● ثالثاً: إنعاش اللغة العربية التي تصوب إليها السهام، ويعقها أبناؤها ـ على سعتها ومرونتها وعظمتها ـ وهذا الإنعاش عنصر لازم في عملية الإحياء هذه، فاللغة من خصائص هذه الأمة، وترتبط ارتبـاطـاً وثيقـاً بمواريثها الدينية والفكرية والعاطفية. ولن تكون «أسلمة» ما لـم يكن ثمّ تعريب لكل شيء.

ولقـد سبقنا ـ للأسف ـ إلى الاهتمام باللغة أقوام، تفتقد لغـاتهم ما في العربية من حيوية ومرونة وديمومة، بل إن بعض اللغات التي كانت ميتة تقريباً بعثها أبناؤها بإصرار، محافظةً على هويتهم، وعمموها حتى صارت ـ في موطنها ـ لغة الآداب ولغة العلوم على السـواء. وليس خفيًّا ان يهـود الـذين عاشوا وسط الشعوب المختلفة قروناً متطاولة أصروا ـ ولا يزالون ـ على بعث العبـريـة القـديمـة، فهم يعلمـونهـا لكل مهاجر إليهم بإصرار وإلحاف، لأنها في نظرهم لغة مقدسة، ورباط يربط اليهود على اختلاف ألوانهم ومهاجرهم.

وقـد مر بالتجربة نفسها الصينيون والفيتناميون، كما يعتز الأوروبيـون بلغاتهم اعتزازاً عظيماً، حتى إنني قرأت أن أحد المـواطنين الفـرنسيين الغُيُرَ رفـع دعـوى قضـائية على إحـدى

الشركات الفرنسية لأنها كتبت اسم البضاعة على الصناديق باللغة الإنجليزية؛ بل إن الغــرب يحـاول أن يقيم نوعـاً من الـربط المقصود بين الدول على أساسٍ من اللغة، ولقد سمعنا جميعاً عن المؤتمرات التي تعقد بين الشعوب الناطقة بالفرنسية ـ على ما بينها من تباين واختلاف في الجنس واللون والغاية ـ حتى إن مثل هذا الخيط تنتظم فيه دول إسلامية، مع دول فيها وثنيات، مع دول نصرانية، تجمعها جميعها اللغة الفرنسية.

إننـا بحـاجـة إلى إنعـاش العربية، وإنعاش الاعتزاز بها، واعتقـاد أنهـا لغـة الدين، ولغة الدنيا، وإنعاش النطق بها في المحافل المحلية والدولية، وعدم الإحساس بالدونية إزاء اللغات الهجين.

ومن المهم أن ننوه إلى أن الحياة العلمية مستمرة في السير بخطىً حثيثة، حتى إن المعامل ومراكز الدراسات تقذف كل يوم بعشرات المصطلحات المستحدثة التي تحتاج إلى تلقٍّ وفهم ثم هضم وتعريب.

● رابعـاً: وبسبب هذا الكم الهـائــل من العلوم الجــديدة والمصطلحات المتراكمة والمستحدثة فلا بد من متابعة متبصرة عن طريق مترجمين أكفياء يستطيعون ملاحقة السيل المتجدد من المصطلحات. ولقد قرأت أن روسيا، في أول قيام الثورة البلشفية أقامت جهازاً للترجمة مكوناً من مائة ألف مترجم، أشرف عليهم «لينين» نفسه، وأن جهاز الترجمة الروسي يحوي ما يقارب مليوني

مترجم حاليًا، فنحن أحوج ما نكون إلى جهاز إسلامي للترجمة والمتابعة.

● خامساً: إعادة النظر في العلوم والمعارف على ضوء المنظور الإسلامي، وقبول كل أمر يتوافق مع القواعد الإسلامية العامة ويتبنى نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة، لأن العلوم: [تدين لمن أنتجها، وترتبط بحضارته وثقافته ونظرته إلى الحياة - مهما قيل عن حياد العلم - ومراجعة العلوم الإنسانية بحد ذاتها، وتحديد المواطن التي تجانب فيها النظرة الإسلامية لون من التحصين لا بد منه في مرحلة العجز عن إنتاج هذه العلوم، خاصة وأننا مضطرون لتدريسها في جامعاتنا، فلا أقل من أن تكون لنا مقاييس نرجع إليها في القبول والرد. وما لم نصل إلى مرحلة إنتاج أفكار علمية تجيء ثمرة لقيم ورؤىً دينية ومحكومة بنظرتها نكون كالذي يعالج العرض في المرض وينسى السبب].
«كلمة الأمة: جمادى الاولى ١٤٠٦هـ».

● سادساً: توظيف هذه المعارف بعد تمثلها وأسلمتها - في خدمة المذهبية الإسلامية العامة، وخدمة القضايا الإيمانية، فإن الغاية من وجودنا - كما يعتقد كل مسلم - ليس فقط إعمار الأرض، بل التعبد بصوره الاعتقادية، والعملية التي منها إعمار الأرض على وجه صحيح ينتفع به المؤمن في أخراه.

وشائع أن اليهود، وضعوا بصماتهم على العلوم الانسانية، فأعادوا كتابة التاريخ بما يخدم مصالحهم، واقتحموا آفاق علوم النفس والاجتماع، والآداب والفنون المكتوبة، والسينما

والمسرح، وغيرها، بحيث جعلوا من همّهم أن تخدم هذه العلوم قضاياهم ورؤاهم التوراتية. كما أن العلوم التجريبية ـ وإن كانت في قواعدها ومقدماتها محايدة ـ فإنها تتحول في كثير من الأحيان إلى جرائم مجسدة في شكل تجارب أو أنابيب اختبار أو أسلحة فتاكة تحمل الموت والدمار.

هذه شروط إجمالية لها تفريعات لا يسعها المقام، ولعل ربنا القدير سبحانه يأخذ بيد هذه الأمة إلى مرافىء السلام، ونسأله سبحانه ألا يأتي يوم يزيد فيه هوان المسلمين وحاجتهم، وأن يبعث فيهم روح الإباء والشمم.. آمين.

# *رفع الحرج في الشريعة الإسلامية**

في ظل ندرة الفقيه الشمـولي الملتـزم الذي يحرص على الاجتهاد الفقهي الصحيح . . منطلقاً فقط من ولائه المطلق لله ولرسوله ﷺ . . لا تشوب إرادته شائبة من هوىً أو جَنَف أو تزلّف لأحد؛ يحار المسلم المعاصر بين لونين متضادين من الفتاوى التي يتعين أن تُعرف أحكامها الشرعية؛ ليتسنى للناس ممارسة حياتهم في إطار من الدين السمح ، **فأما اللون الأول فهو فتاوى الذين لا ينظرون لأبعد من مواطىء أقدامهم**؛ فخرجت آراؤهم جامدة تشق على المسلم؛ وذلك ليس من روح الإسلام. وأما اللون الثاني ـ وهو ضد الأول ونقيضه ـ **ففتاوى المترخصين إلى**

---

* استعنت في هذا الموجز برسالة الدكتور صالح بن حميد عن رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ـ جامعة أم القرى.

حد الافتئات على النصوص الشرعية ولي أعناقها ليسلخوا حكماً هو أبعد ما يكون عن الفقه وروح الشريعة المنضبطة المتوازنة التي شرعها المولى عز وجل لتكون نبراساً للعالمين. . كاسرة حواجز الزمان والمكان. . باقية حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. . يفعلون ذلك طلباً لغنيمة عاجلة، أو لفضل منصب، أو لإرضاءأحد. وكان تشدد المتشددين وترخص المترخصين سبباً في حيرة الكثير من الشباب الخيِّر الذي فقد توازنه أمام كثرة الآراء وتراوحها بين النقيض والنقيض.

## أدلة رفع الحرج:

الحرج مرفوع عنا ـ بفضل الله ومنّه يدل على ذلك الكتاب والسنة وسلوك الصحابة والتابعين.

● فمن الآيات الناصَّة على رفع الحرج قول الله تعالى:

﴿ما يريدُ الله لِيَجْعَلَ عليكم مِّنْ حرجٍ ولكن يريدُ ليطهِّركم وليُتِم نعمتَهُ عليكم لعلكم تشكـرون﴾ (المائدة: ٦)، وقوله تعالى: ﴿ومـا جَعَـلَ عليكم في الـدين من حَرَجٍ ملةَ أبيكم إبـراهيم﴾ (الحـج: ٧٨) وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبيِّ من حرجٍ فيما فرضَ الله له﴾ (الأحزاب: ٣٨).

ومن الآيات النـاصّـة على التيسير والتخفيف قوله تعالى: ﴿يـريدُ الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة؛ ١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿يريدُ الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ (النساء: ٢٨) وقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. .﴾

(البقرة: ٢٨٦) وغير ذلك من الآيات.

وفي السنة أحاديث كثيرة نصت على يسر الدين وسماحته وكونه لاحرج في ممارسته، ومنها:

١ ـ حديث ابن عباس: قيل: يا رسول الله؛ أي الأديان أحب إلى الله؛ قال: الحنيفية السمحة[1]

٢ ـ حديث النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى: يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفرا[2].

٣ ـ حديث عائشة رضي الله عنها: ما خيّر ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً[3].

وفي السنة أحاديث تبين خشية النبي ﷺ أن يكون قد شق على أمته، منها:

١ ـ قوله ﷺ: إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز كراهية أن أشق على أمه[4].

٢ ـ ما جاء في أمر التراويح من أنه ﷺ صلى ذات ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا في

(١) أخرجه أحمد والطبراني والبزار. وحسّنه ابن حجر، وأخرجه البخاري في الصحيح تعليقاً وفي الأدب موصولاً.

(٢) البخاري مع الفتح: ج ١ ص ٥٢٤.

(٣) البخاري مع الفتح ج ٦ ص ٥٦٦.

(٤) سنن أبي داود مع بذل المجهود ج ٥ ص ٣.

الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم؛ فلما أصبح قال: رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلاّ أني خشيت أن تفرض عليكم - وفي رواية أخرى - فتعجزوا عنها[٥].

كمـا ورد في السنـة المشـرفة أمـر النبي ﷺ أصحـابـه بالتخفيف، ونهيهم عن التعمق والتشديد... فمن ذلك:

١ - أنه ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ فقالوا: حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال: حُلّوه؛ ليُصلِّ أحدكم نشاطَهُ. فإذا فتر فليقعد[٦].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسَهُ لغنيٌّ، وأمره أن يركب.

بعيداً عن التكلف:

وأما منهج الصحابة رضوان الله عليهم فإنهم كانوا أبعد الناس عن التكلف. وقد بين ابن مسعود رضي الله عنه منهجهم فقال: من كان منكم مستنّـاً فليستنّ بمن قد مات (يعني رسـول الله ﷺ وصحابته) أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرّها قلوباً وأعمقها علماً وأقلّها تكلفاً[٧].

---

(٥) مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٤١، ٤٢.

(٦) البخاري عن أنس ج ٣ ص ٢٦.

(٧) إغاثة اللهفان: ج ١ ص ١٥٩.

ويقـول أيضـاً: إيـاكم و التنـطع، إياكم والتعمق وعليكم بالعتيق: [8] يعني ما كان عليه، رسول الله ﷺ وأصحابه.

وجاء في الموطأ أن عمر رضي الله عنه خرج في ركب فيهم عمـرو بن العـاص حتى وردوا حوضاً، فقال عمرو: يا صاحب الحوض: هل ترد حوضك السباع؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا تخبرنا؛ فإنّا نرد على السباع و ترد علينا.

وقال النخعي: إذا تخالَجَك أمران فَظُنَّ أن أحبهما إلى الله أيسرهما[9].

**الطاعة أولاً وآخراً:**

والمراد من العباد أولاً وآخراً هو «الطاعة وتحقيق العبودية لله وحده، وبذل منتهى الاستطاعة في الإصلاح واستعمار[10] الأرض وبنـائها». «فالذي يتلمس التخفيفات، ويتتبع مواطن الرخص بعيـداً عن الغـاية الحقيقية من تمام العبودية وخالص الخضوع والطاعة لله وحده، والسعي في جلب المصالح ودرء المفاسد؛ وإنمـا غايتـه أن يأخذ بالسهل من الأمور؛ الذي قد يؤدي إلى الانسـلاخ من الأحكـام، والابتعـاد عن الشـرع، والتهاون في مسـائل الحلال والحرام في المطاعم والمشارب والمعاملات المـاليـة وغيـرهـا، مدعياً ألا حرج في الدين فقد أخطأ وضل

---

(٨) جامع العلوم و الحكم ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٩) الآثار لأبي يوسف ص ١٩٦.

(١٠) أي إعمارها بأمر الله تعالى.

السبيل، فلا يجوز أن تنقلب الوسائل غايات، أو أن تتغلب الوسائل على الغايات[11]»..

المشقة المؤثرة في التخفيف:

العملِ الشاق هو الذي تجد فيه صعوبة وشدة وثقلاً عند القيام به، ومن المعلوم أن الشرع لم يأتِ بما يُعنت أو يحرج؛ بل إن الله تعالى شرع من الأحكام الأصلية و الرخص ما يتناسب مع أحوال المكلفين؛ وإن بدا في بعض الأحوال شاقًا عليهم.

ومن أجل ذلك فلا بد من التمييز بين نوعين من المشاق: المشاق المعتادة المألوفة، والمشاق غير المعتادة.

النوع الأول: المشقة المعتادة:

لا يخلو عمل مطلوب شرعاً من كلفة. وهذه الكلفة داخلة في حدود الاستطاعة والوسع ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (التغابن: ١٦) والمشقة في الأعمال الشرعية متفاوتة: فليست المشقة في صلاة الفجر كالمشقة في صلاة الظهر، ولا المشقة في الصلاة كالمشقة في الصيام، ولا المشقة في الصيام كالمشقة في الحج، ولا المشقة في الحج كالمشقة في الجهاد. وليس إسباغ الوضوء في زمن الشتاء كإسباغه في الزمن المعتدل، ولا القيام إلى الصلاة في جوف الليل أو في شدة البرد مثله حين طوله واعتداله[12]. وواضح ان المشقة قد تتزايد حتى تصل إلى مستوى

---

(١١) البحث ص ١٤.

(١٢) البحث ص ٣١ نقلاً عن الموافقات: بتصرف.

التضحية بالنفس: كمـــا في الجهـاد في سبيل الله تعـالى: إذ يتعرض المجاهد إلى إزهاق روحه، «وتهون الوسائل إذا شرفت المطالب»[١٣].

النوع الثاني: المشقة غير المعتادة:

وهي محل الكلام هنا؛ إذ ليس كل شيء يراه أي أحد في أي زمـان يمكن أن يكـون مشقة، «ولو أردنا ضبط ذلك فيمكن؛ بالنظر في العمل وما يؤدي إليه أداؤه أو الدوام عليه من الانقطاع عنه، أو عن بعضه، أو من وقوع خلل في صاحبه؛ في نفسه أو مالـه أو حالٍ من أحـواله، فإن لم يكن فيه شيء من ذلك في الغالب فلا يعد في العادة مشقة وإن سمي كلفة»[١٤].

تقدير المشقة بالنظر في العبادة:

إن العبـادات مشتملة على مصـالح العباد، وسعادة الدنيا والآخرة، فلا يليق تفويتها بمسمى المشقة مع يسارة احتمالها، ولذلك قال من قال: إن ترك الرخص في كثير من العبادات أولى؛ لأن تعاطي العبادة مع المشقة أبلغ في إظهار الطواعية، وأبلغ في إظهار التقرب. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: أفضل الأعمال أحمزها[١٥] أي أشقها، وفي الصحيحين: أجرك على قدر نصبك[١٦].

---

(١٣) ص ٣٢ من البحث، نقلاً عن الموافقات.

(١٤) ص ٣٣ نقلاً عن الموافقات.

(١٥) أورده ابن الأثير مرفوعاً في النهاية ج ١ ص ٤٤.

(١٦) ص ٣٩ من البحث.

### تقدير المشقة بالنظر في المأمورات والمنهيات:

يقـرر العلماء أن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمـأمورات، لذا قال عليه الصلاة والسلام: «إذا أمرتكم بأمرٍ فأتـوا منــه ما اســتـطعــتـم، وإذا نهـيــتــكـم عن شيء فاجتنبـوه»[17] فـالمنهيات تجتنب على الإطلاق، أما المأمورات فيأتي الإنسان منها بقدر الاستطاعة، ومن ثم سومح في ترك بعض الواجبات بسبب المشقة كالقيام في الصلاة، والفطر، والطهارة، ولم يسامح في الإقدام على المنهيات وخصوصاً الكبائر، وكل ذلك يرجع إلى قاعدة: درء المفاسد أولى من جلب المصالح[18].

### تقدير المشقة بالنظر في المقاصد والوسائل:

إن ما حرّم سدًّا للذريعـة يبـاح للمصلحـة الراجحة؛ كما أبيحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر، وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب من جملة النظر المحرم[19].

وينبغي الالتفات إلى أن الأصل في المضار التحريم «وكل ما فيه ضرر راجح أو مساوٍ فإن الشريعة لا تأتي بإباحته، وكذلك فإن الأصل في كل مستخبث التحريم»[20].

---

(١٧) متفق عليه.

(١٨) ص ٣٩ من البحث.

(١٩) نقلاً عن إعلام الموقعين ج ٢ ص ١٤٢.

(٢٠) البحث ص ١١٣.

والأدلة على ذلك كثيرة منها: حديث أبي سعيد مرفوعاً: لا ضرر ولا ضرار: قال أبو داود: هذا من الأحاديث التي يدور الفقه عليها، وقال الشوكاني: هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين تشهد له كليات وجزئيات. . وأيضاً حديث أبي صرمة مرفوعاً: من ضارّ أضرّ الله به، ومن شاقّ شقّ الله عليه(٢١).

ويقول تعالى: ﴿قل لّا أجد فيما أُوحِيَ إليَّ محرَّماً على طاعمٍ يَطْعَمُهُ إلَّا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزير فإنه رجسٌ، أو فسقاً أُهلَّ لغير الله به﴾ (الأنعام: ١٤٥) ويقول تعالى: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾.

كما أن الأصل في المنافع والطيبات الإباحة، ويقول تعالى: ﴿ألم تَرَوْا أن الله سخَّر لكم مَّا في السمٰوات وما في الأرض وأسبَغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً﴾ (لقمان: ٢٠).

﴿قل أحلَّ لكم الطيّباتُ﴾ (المائدة: ٤).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنكم»(٢٢).

---

(٢١) أبو داود والترمذي، وقال غريب.

(٢٢) الترمذي وابن ماجه، وقيل إنه من قول سلمان رضي الله عنه؛ نقلاً عن جامع العلوم و الحكم.

وفي مجال العادات يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأمّا العادات فهي مما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه: فالأصل فيها العفو وعدم الحظر، فلا يحظر منها إلا ما حظره الله سبحانه و تعالى(٢٣).

أسباب التخفيف في الشريعة الإسلامية:

وباستقراء الأسباب الشرعية للتخفيف يجد المتأمل مردّها إلى ثمانية أشياء هي: الحاجة والسفر والمرض والنسيان والخطأ والجهل والإكراه وعموم البلوى.

● فالحاجة سبب للتخفيف: عامةً كانت: كما لو تعلقت بمصالح عموم العباد؛ مثل ورود النص بإباحة بعض العقود استثناءً من القواعد العامة وعلى خلاف القياس؛ كالإجارة والسَّلَم والوصية، أو خاصة: كتحريم اقتناء الكلب إلا كلب صيد أو زرع، وكإباحة لبس الحرير لمرضٍ كالجرب أو الحكة، وكاتخاذ سن الذهب عند الحاجة.

● والسفر سبب للتخفيف؛ إذ رُخّص فيه في المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها، وفي قصر الرباعية المفروضة، وفي الجمع تقديماً وتأخيراً، وفي الفطر في رمضان.

● والمرض سبب للتخفيف؛ إذ رخص للمريض مرضاً يستدعي التخفيف في التيمم عند الحاجة، وفي الإتيان بما يستطيع من القيام أو القعود أو الاضطجاع في إقامة الصلاة، ويجوز له

---

(٢٣) البحث: ص ١٢

التخلف عن الجمعة والجماعة، ويرخص له في الفطر في رمضان، وتصلي المرأة المستحاضة على حسب حالها بعد أن تعصب فرجها، وتتلجم بقدر ما تستطيع، والحائض والنفساء تسقط عنهما بعض التكاليف الشرعية أيضاً.

● والنسيان: سبب لعدم المؤاخذة شرعاً فيما بين العبد وربه؛ ففي مسلم أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ربَّنا لا تؤاخذنا إن نَّسينا أو أخطأنا﴾ قال الله تعالى: قد فعلت.

ولا يعتبر النسيان عذراً في حقوق العباد، لأنها مبنية على المشاحّة والمقاضاة، فلو أتلف مال غيره نسياناً وجب عليه الضمان.

● والخطأ: تسقط به المؤاخذة شرعا ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمَّدت قُلوبكم﴾ (الأحزاب: ٥)، «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٢٤]. والخطأ في حقوق العباد مؤاخذ عليه؛ كما لو قاد سيارة غيره فأصابها تلف بسببه من حادث أو غيره؛ فعليه ضمان ما أتلفه؛ سواء كان خطأ أم عمداً.

● والجهل: سبب من أسباب التخفيف والتيسير، فمن شروط التكليف علم المكلّف بطلب الشارع للفعل في الواقع، ويعتبر المكلف عالماً؛ إما بعلمه حقيقة، وإما بتمكنه من العلم بالتعلم أو بسؤال أهل الذكر، فإن لم يسأل فقد قصّر وأهمل إلا أن هناك

(٢٤) أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وهو حسن.

أموراً لا يعتبر الجهل فيها عذراً، وهي:

١ ـ الجهل بأصول الدين وكليات الأمور الاعتقادية؛ كالجهل بوحدانية الله تعالى وصفات كماله، وكتابه ونبوة محمد ﷺ.

٢ ـ ما علم من الدين بالضرورة؛ كأركان الإسلام وحرمة الزنى والقتل والسرقة والخمر، كما لا يعتبر الجهل في دار الإسلام عذراً، وهناك تفصيل ليس هنا مجاله.

● والإكراه المعدم للإرادة (أو المفسد لها عند بعض العلماء) تسقط به المؤاخذة ﴿إلاَّ من أُكره وقلبُهُ مطمئنّ بالإيمان﴾ (النحل: ١٠٦) «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق»[٢٥] «إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، قال ابن العربي: معناه صحيح باتفاق العلماء.

● وعموم البلوى من أسباب التخفيف، ويظهر عموم البلوى في موضعين:

أ ـ مسيس الحاجة في عموم الأحوال؛ بحيث يعسر الاستغناء عنه إلا بمشقة زائدة، وذلك كإباحة الصور الفوتوغرافية عند الضرورة (عند من يقولون بتحريم الصور قطعاً) في زماننا بسبب عسر الاستغناء عنها.

ب ـ شيوع الوقوع والتلبس، بحيث يعسر على المكلف الاحتراز

---

(٢٥) أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عائشة.

عنه أو الانفكاك منه إلا بمشقة زائدة؛ كما جاء في حديث كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت أبي قتادة ـ رضي الله عنهم ـ أن أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءاً، فجاءت هرة تشرب منه فأصغى لها الإناء حتى شربت. قالت كبشة: فرآني أنظر؛ فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات»[٢٦]

وضابط عموم البلوى نلمسه في أحد أمرين:

الأول: نزارة الشيء وقلته: فقد تأتي مشقة الاحتراز عن الشيء من قلته، ومن هنا كان العفو عن يسير النجاسات، وعن أثر الاستجمار في محله.

الثاني: كثرة الشيء وشيوعه، مما يؤدي إلى تعذر اجتنابه، كاختلاط الأموال، يقول الفقهاء: «إن ما عمّت بليتُهُ خفّت قضيته»[٢٧]

**العلاقة بين الأجر والمشقة:**

يقول الإمام الشاطبي: ليس للمكلف أن يقصد المشقة، ولكن له أن يقصد العمل الذي يُعظِم أجْرَهُ لعظم مشقته من حيث هو عمل، فهو ـ أي المكلف ـ يقصد العمل المترتب عليه أجر،

---

(٢٦) أخرجه الخمسة، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٢٧) انظر: الباب الثالث من البحث: ص ١٦٧ ـ ٢٧٦

وذلك هو قصد الشارع بوضع التكليف به، وما جاء على موافقة قصد الشارع هو المطلوب، أما أن يقصد المكلف إيقاع المشقة فقد خالف قصد الشارع.[28]

ويقول العز بن عبد السلام: لا يصح التقرب بالمشاق؛ لأن القـرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عين المشاق تعظيماً، ولا توقيراً.[29].

وينبغي أن أعود للتذكير بما جاء في أول هذا العرض من أن المراد هو موافقة الشريعة وأصولها بلا إعنات أو ترخص يؤدي إلى الانفلات والعياذ بالله.

فالذي يتلمس التخفيفات، ويتتبع مواطن الرخص بعيداً عن الغاية الحقيقية من تمام العبودية وخالص الخضوع والطاعة لله وحده، والسعي في جلب المصالح ودرء المفاسد، وإنما غايته أن يأخذ بالأسهل من الأمور؛ الذي قد يؤدي إلى الانسلاخ من الأحكـام، والابتعـاد عن الشرع، والتهاون في مسائل الحلال والحرام في المطاعم والمشارب والمعاملات المالية ـ مدعياً ألاّ حرج في الدين ـ فقد أخطأ وضلّ السبيل، فلا يجوز أن تنقلب الوسائل غايات.

والله من وراء القصد، ، ،

---

(٢٨) البحث: ص ٣٥١ نقلاً عن الموافقات ج ٢ ص ٩١

(٢٩) البحث: ص ٣٥١ نقلاً عن قواعد الأحكام ج ١ ص ٣٦

# الغرب بين «إرهاب الإسلام» والرهبة منه!!

■■ من الحقائق التي تفرض نفسها أن من يملك وسائل الإعلام يملك تشكيل عقول الناس وآراءهم، ويستطيع أن يفرض عليهم توجّهاته بما فيه صالحه ومنفعته، كما أن من الحقائق أيضاً أن الـذي لا يملك صوتـاً قوياً ومؤثـراً يظل أعـزل، عرضـةً لأنياب الوحوش الكاسرة التي لا ترى فيه غير فريسة سهلة المنال، تُشبع من جوع، وتُغني من فقر.

ومقاليد التأثير الإعلامي الآن بيد الغرب ولا شك؛ فصوته ومنطقه يقتحم البيوت والعقول، ويضع بصماته على الأحداث التي تدور على الكرة الأرضية الصغيرة.

واستغـلالاً للموهبة الفذّة التي تملكها الشعوب النامية في

النسيان والتعامي يحاول الغرب ـ تقوده أمريكا، الطاغوت المتأله ـ وفي نغمــة صليبية خبيثـة، أن يؤكـد للدنيا كلهـا أن العـالم الإسـلامي بؤرة الإرهـاب، فهـو لا يخرج إلا منه، والمسلمون مصدره؛ قد تخصصوا في ترويع الآمنين، وقتل النساء والأطفال، ولا يجيدون غير خطف الـطائـرات وتفجير محـطات السكـك الحديدية، وسرقة المحلات التجارية.

ومن باب التذكير أقول إن الغرب برّر اجتياح لبنان بعملية نفذها «إرهابي» عربي ضد شخص يهودي؛ فكان الثمن «ثمن اليهـودي» عشـرات الآلاف من القتلى والجـرحى؛ فضـلاً عن المصادرات والهدم والحرق وترويع الأطفال والعجزة.

وأذكّر أيضاً ـ لأننا أدمنّا النسـيان ـ بالإرهاب الدولي المكثف الذي مورس في أنحاء العالم الإسلامي: فلسطين، وأفغانستان، والفلبين، وفطاني والصين والاتحاد السوفييتي وإندونيسيا وجنوبي أفريقيا وأوغندا وإثيوبيا.

**من فمك أدينك:**

ولأنه لا يصح إلا الصحيح، ولأنه لا بد للسِّتِير أن ينكشف فإن الإحصاءات الفعلية التي تصدر عن الغرب الصليبي نفسه يمكن أن تكشف القنـاع عن الـوجـه الغـربي القبيح، وتـظهر بشـاعتـه، وتعـرّي وحشيتـه التي تغطيها المساحيق الإعلامية، والشعارات التي يتفنّنون في ابتكارها، صرفاً للأنظار.

وهذه إحصاءات غربية تكشف عن الإرهاب الرسمي الذي

تمـارسـه الـدول غيـر الإسلامية، وعن الإرهاب الفردي الذي يمارسه آحاد الناس من غير المسلمين، والذين لا يؤمنون إلا بما يحققونه حتى لو كان على أشلاء الأبرياء، وسأكتفي بعرض بعض الإحصـاءات عن الجـريمـة الجماعية والفردية في أثناء العقود الأخيرة. . وبالله التوفيق.

**الناس والجريمة. . . تمهيد:**

يعيش الغربي حياته من خلال الشق المادي فقط كما هو معروف؛ لذا فهو إنسان شقيّ حائر قلق مضطرب النفس، رغم الهالة المزوّقة التي يتعمدون إضفاءها عليه؛ فهو تعس فقد حياة الأسـرة، وأمن النفس؛ يدل على ذلك الإحصاءات المجموعة حول حالات الانتحار.

فبحثـاً عن الخلاص انتحرت مجموعة من الشباب عددها ٩١٣ شخصـاً بتعـاطي سم السيانيدCyanide في «معبد الشعب» قريباً من [كِيْتوما ـ غيانا] في ١١ نوفمبر ١٩٧٨م؛ بإشراف قسيس نصاب يدعى «جيم جونس» أوحى لهم أن في انتحارهم الراحة الأبدية مما يعانون من شقاء وتعاسة وإحساس بالتفاهة والضياع، وعاش هو يتمتع بملايينه التي جمّعها من الغش. .

وفي انجلتـرا حصلت ٤٤١٩ حادثـة انتحـار Suicide عام ١٩٨١؛ أي بمتـوسط ١٢٫١ شخصـاً كل يوم، وكـانت أعلى المعدلات في شهري إبريل ومايو ذلك العام.

أما أعلى نسبة انتحار على المستوى العالمي فهي في المجر

الشيوعية؛ إذ بلغت ٤٢٫٦ حالة من كل مائة ألف شخص طبقاً لإحصاء ١٩٧٧م.

والأسرة ـ بشكلها الفطري الإنساني ـ غير موجودة في الغرب، ولو أقيمت ـ بشكل رسمي ـ فإنها سرعان ما تتقوض من أركانها. فالإحصاءات تشير الى أن أكبر نسبة للطلاق في العالم «تتمتع» بها الولايات المتحدة.. إذ بلغت الحالات (١٫١٧٩٫٠٠٠) مليوناً، ومائة وتسعةً وسبعين ألف حالة عام (١٩٨٣) وبنسبة ٤٨٫١٣٪ من مجموع الزيجات المسجلة رسميّاً؛ فضلاً عن الحالات الأخرى غير المسجلة..

**الجريمة المنظمة:**

يكفي ـ لكي نبدأ الكلام عن الجريمة في الغرب ـ أن نقول إن كبرى عصابات الجريمة المنظمة في العالم ليست نتاجاً إسلاميًّا، وإنما هي غربية الأصل والامتداد... وأعني بها «المافيا MAFIA».

وتسمى أيضاً LA COSA NOSTRA والطريف أنهم يرجعون أصل كلمة «مافيا» إلى تعبير عربي يوحي بمعاني الجمال والامتياز والشجاعة:

(Derived from an Arabic expression connoting beauty, excellence allied with bravery)

والمافيا تضم أفراداً يتراوح عددهم بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ شخص في ٢٥ أسرة «تنظيم» متحدة في مفوضية «Commission» وقد قدرت عائداتها في ديسمبر ١٩٨٢ من تجارة المخدرات

وإدارة أوكار البغاء والنصب والرشوة والسطو والمقامرة بحوالي مائتي بليون جنيه استرليني؛ طبقاً لتقرير أعدته جريدتا The World News, U.S. Report، ولا يزال العالم كله يكتوي بممارسات المافيا التي تركز نشاطها أكثر ما تركز في الغرب الصليبي نفسه، وهذه صور من جرائم الفرد الغربي «الراقي»:

● في إسبانيا قام أحد معامل الزيوت بتسميم جزء من الإنتاج (!!) أسفر عن موت ٣٥٠ شخصاً نتيجة استعمال الزيت المسموم.

● وفي عام ١٩٨٠ وضع شخص إرهابي - غير مسلم طبعاً - قنبلة قتلت ٨٥ وجرحت مائتين في محطة السكة الحديدية الرئيسية في «بولونا Bologna بإيطاليا».

● وفي عام ١٩٧٣م قتل بميتشجان - أمريكا - ٧٥١ شخصاً غيلة، كما قتل في نيويورك في العام نفسه ٥٨ شخصاً في أسبوع واحد.

● وفي بريطانيا قتل ٦١٢ شخصاً عام ١٩٨١ وحده.

● في نوفمبر ١٩٧٤م اتهمت «جوديث وارد: ٢٥ سنة» بقتل أحد عشر شخصاً (!!) كما اتهم «دينيس أندرو نلسن - ٣٧ سنة» بخمس عشرة جريمة قتل ما بين ديسمبر ١٩٧٨ وحتى فبراير ١٩٨٣م، واتهم في العام نفسه «دومينيك مكلينكي» بـ ٣٠ جريمة قتل شمالي أيرلندا.

● وأعلى معدل للقتل هو في البرازيل [أمريكا اللاتينية]؛ إذ بلغ عام ١٩٨٣م (١٠٤) جرائم لكل ١٠٠٫٠٠٠ شخص. أي ما يساوي ٣٧٠ قتيلاً في اليوم الواحد(!!).

إن حوادث الاختطاف جزء من الحياة اليومية للغرب، وكثيراً ما تتم تحت سمع وبصر الناس.. وقد اختطف شخصان عام ١٩٧٥م، واستطاع المختطفون الحصول على الفدية المطلوبة وكانت ٢٥٫٣٠٠٫٠٠٠ خمسة وعشرين مليوناً وثلاثمائة ألف دولار دفعت بالأرجنتين [أمريكا اللاتينية] وهي أكبر فدية دفعت في التاريخ.

● وفي منتصف مايو الحالي مثلاً اقتحم شرطي أمريكي متقاعد وزوجته إحدى رياض الأطفال وهددوا بنسفها بمن فيها - ١٥٠ طفلاً؛ وهيئة الروضة - إن لم تُدفع فدية قدرها ٣٠٠ مليون دولار؛ بواقع مليونين عن كل طفل. وبعد ساعتين انفجرت قنبلة في يد زوجة الشرطي الإرهابي فقتلتها وقتلت وجرحت ما يربو على ثلاثين طفلاً.

الغش:

● وأعظم حالة غش جماعي Welfare Swindle نفذها الغجري «أنطونيو مورينو» بتزويره شهادات ميلاد وشهادات مدارس، حيث اخترع أسماء ١٠٩٧ عائلة وهمية، و٣٠٠٠ طفل لا وجود لهم، وهو يعيش الآن حياة فخمة في مسقط رأسه إسبانيا، مستمتعاً بحاصل نشاطه في التزوير والاحتيال، والبالغ (٢٫٣٠٠٫٠٠٠) مليوني دولار وثلاثمائة ألف دولار.

**السرقات :**

يبدو أن السرقات القياسية أبطالها انجليز دائماً :

● ففي ٢٦ نوفمبر ١٩٨٣م سرق ستة مقنعين ٦٫٨٠٠ سبيكة ذهب وبلاتين في ٧٦ صندوقاً، بالإضافة الى ماسات وشيكات سياحية ؛ بما يعادل ٢٦٫٣٦٩٫٧٧٨ ستة وعشرين مليوناً وثلاثمائة وتسعة وستين ألفاً وسبعمائة وثمانية وسبعين دولاراً من إحدى الشركات في بريطانيا .

● وسرقت ٩ شهادات إيداع قيمتها ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار من بنك صباح - إيران في لندن في ديسمبر ١٩٨٦م .

وفي أغسطس ١٩٦٣ تمت في انجلترا أكبر سرقة للقطارات ؛ إذ سرق قطار البريد عند مدينة «بكنجها مشاير» وكان يحمل ١٢٠ حقيبة بريدية كان بعضها يحوي ٢٫٦٣١٫٧٨٤ مليونين وستمائة وواحداً وثلاثين ألفاً وسبعمائة وأربعة وثمانين دولاراً كانت في طريقها للندن لتعدم بمعرفة البنك المركزي . . ولم يستعد من هذا المبلغ غير ٣٤٣٫٤٤٨ دولاراً فقط .

**المخدرات Narcotics**

لا يسع مثل هذا العرض السريع الكلام عن تجارة المخدرات . . ولكن يكفي أن يشار إلى أن حجم التعامل في الكوكايين فقط بلغ (٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠) ثمانين مليون جنيه استرليني في أمريكا وحدها . . تدر ٣٥ ألف مليون سنويًا، غير الماريجوانا التي كانت تدر (طبقاً لإحصاء ١٩٨٣) ١٣٫٩٠٠

ثلاثة عشر ألفاً وتسعمائة مليون جنيه استرليني.

أليس لنا أن نفخر بانتمائنا إلى عالم الإسلام؟! الذي أثبتت الإحصاءات في الغرب نفسه أنه بريء من التهم التي تنسب إليه.. فقد قالوا: إن أقل نسبة انتحار في العالم كله توجد في العالم الإسلامي (الأردن؛ إذ حصلت فيها حالة فردية عام ١٩٧٠ فقط) وان أقل نسبة للقتل أيضاً في العالم الإسلامي (المالديف؛ إذ لم يقتل فيها أحد منذ استقلالها عام ١٩٦٥).

إرهاب الأنظمة:

سأشير إلى حصاد الصلف الدولي الذي تظهره القوى العظمى وأذنابها، ليتضح الى أي مدىً يمكن أن يتحول الإنسان الى دموي سفاك للأرواح؛ تحت اسم الشرعية الدستورية؛ وحماية الصالح العام؛ ودستور الدولة.. و...

في سبيل المطامع العرقية (الفكرة النازية قائمة على تميز الجنس الآري وتفوقه) اقتيد العالم كله إلى الحرب العالمية الثانية التي خلقت وراءها مآسٍ أقلها يجرد الآدميين من آدميتهم:

● فالإحصاءات الرسمية تقول إن هذه الحرب التي امتدت من ٣٩ ـ ١٩٤٥م تركت خلفها أربعة وخمسين مليوناً وثمانمائة ألف قتيل من المدنيين والعسكريين (!!؟) منهم ٢٥ مليون روسي، و٧٫٨٠٠٫٠٠٠ سبعة ملايين وثمانمائة ألف مدني صيني، و٦٫٠٢٨٫٠٠٠ ستة ملايين وثمانية وعشرون ألف بولندي يكونون نسبة ٢٢٫٢٪ من مجموع بولندا آنذاك.

وفي حصـار «لينجـراد» الذي دام ٨٨٠ يوماً هلك ما بين (١ر٣) و(١ر٥) مليون عسكري ومدني.

● وفي المانيا قدر عدد الضحايا الذين ماتوا في المحارق Holo Caust وأفران الغاز بأمر من النازي «أدولف هتلر» والتي دامت من إبـريل (١٩٤١)م وحتى مايو (١٩٤٥)م قدر عددهم بـ ثمـانية ملايين ونصف المليون.

● وفي المعسكر النازي المعروف باسم «أوشوتيز ـ بركناو» جنوبي بولنـدا حيث كان يسجن ٩٢٠٠٠٠ر تسعمـائة وعشـرون ألف شخص (على أقـل التقـديرات) تم إعـدامهم جميعـاً من يونيو ١٩٤٠م، حتى ١٨ يناير ١٩٤٥ وقدر عدد القتلى في يوم واحد بـ ٦٠٠٠ شخص. وفـي روسـيا قدر «إلكسنـــدر سولــزنتسين Alexandar Solzenitsym» الحائز على جائزة نوبل عدد الذين فقدوا حياتهم نتيجة الإرهاب والرعب الذي مارسته الدولة في ظل حكم كل من «لينين، وستالين وخروتشيف» [الفترة من أكتوبر ١٩١٧م حتى ديسمبر ١٩٥٩م] بما يعادل (٦٦ر٧٠٠ر٠٠٠) ستة وستين مليونـاً، وسبعمـائة ألف شخص [كان الكثير منهم من مسلمي الجمهوريات الإسلامية].

● كما صرح ستالين لتشرشل في ١٧ أغسطس ١٩٤٢ بأنه تم قتل عشرة ملايين من أغنياء المزارعين «Kulaks» بسبب رفضهم تسليم أراضيهم لإقـامة مزارع جماعية شيوعية عليها.. كما قُدّر عدد الهـالكين في معسكـرات العمـل الإصلاحية (Corrective Labour Camps) حتى عام ١٩٦٠ بـ ١٩ر٠٠٠ر٠٠٠ تسعة عشر مليوناً.

● أما في الصين فإن نظام ماوتسي ـ تنج MAO TSE Tung قد مارس أبشـع ما يمكن أن يمارسه حاكم ضد شعبه من أشكال الإبادة الجماعية Genscide :

● ففي الفترة الممتدة ما بين ١٩٤٩م ١٩٦٥م أعلنت الإذاعه السوفييتية أن مذابح رهيبة مورست على أربع فترات: الأولى بين ٤٩ و١٩٥٢م وأباد «ماو» خلالها مليونين وثمانمائة ألف شخص. .

● والثانية ما بين ٥٣ ـ ١٩٥٧م وأباد خلالها ثلاثة ملايين ونصف المليون. .

● والثالثة ما بين ٥٨ ـ ١٩٦٠م وأباد خلالها ستة ملايين وسبعمائة ألف شخص.

● والـرابعـة من ٦١ إلى ٦٥ وأبيد في أثنائها ثلاثة عشر مليوناً وثلاثمائة ألف. . والجدير بالذكر أن الصين فيها نسبة عالية من المسلمين، وإن كانت الإحصـاءات الـرسمية تنكـر ذلـك. والمسلمون موجودون في سائر مقاطعات الصين.

● كمـا أعـلن في راديو بكين في أحـد الأشهـر عن مقتـل ١,١٧٦,٠٠٠ مليون ومـائـة وستـة وسبعين ألفاً في «أنهيوي وشكيانـج وكيانجو وشانتينج» كما أعلن عن قتل ١,١٥٠,٠٠٠ مليون ومائة وخمسين ألف شخص في مقاطعات شرقي ووسط الصين في أحد الأشهر. .

● وفي إحصائية نشرها «باو رو - وانج» حول عدد الذين ماتوا خلال معسكرات العمل المسماة Reform through manual labour & Education Through Labour

قدر عدد الذين ماتوا بـ ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ ستة عشر مليوناً أي ما يعادل ٣٪ من السكان آنئذٍ.

● وفي كمبوتشيا أباد النظام الشيوعي Pol Pot أكثر من ٢٫٦٥٠٫٠٠٠ مليونين وستمائة وخمسين ألفاً من الخمير الحمر Khmer Rouge في فترة تمتد ما بين ١٧ إبريل ١٩٧٥م ويناير ١٩٧٩م (وهذه النسبة تعادل ثلث عدد الخمير الحمر)

● وكانت التهم توجه إلى الناس أحياناً بأسباب غريبة جدًّا منها مثلاً: النوم في أثناء النهار، وتوجيه الأسئلة كثيراً، وعزف موسيقى غير شيوعية، وكبر السن، وضعف الجسم، وكون المتهم من عائلة غير مرغوب فيها، وكون المرء قد تلقّى تعليماً عالياً(!!).

● ووصلت الوفيات في مركز تيول سلنج Tual Sleng حوالي ٥٨٢ في اليوم الواحد..

● وقد أبادت روسيا خلال السنوات الخمس الأخيرة في أفغانستان وحدها مليوناً ونصف مليون من الأفغان لقوا ربهم سبحانه شهداء مجاهدين، تاركين خلفهم ملايين من النساء والأطفال المشوهين العجزة..

● ناهيك عمّا حدث في فلسطين ولبنان من مآسٍ ليس آخرها ـ على ما يبدو ـ دير ياسين ولا تل الزعتر ولا عين الحلوة ولا صبرا وشاتيلا. . ولا. . ولا. . هذا عدا من قتلتهم أمريكا في حرب فيتنام.

حرب النجوم:

والكلام عن حرب النجوم والإمكانات النووية الرهيبة أمر يحتاج إلى أن يفرد بدراسة خاصة؛ إلا انه يكفي أن نعلم أن السلاح النووي المعروف باسم يوم القيامة Dooms Day رغم أنه لم تصدر بيانات وتقديرات رسمية عن حجمه، فمما لا شك فيه أنه ـ على حد التعبير الغربي ـ تكفي آلة قوتّها ٥٠٫٠٠٠ ميجاطن أن تزيل الجنس البشري كله، باستثناء المختبئين في أعماق الأرض شرط أن يظلّوا كامنين في مخابئهم لخمس سنوات بعد استخدام هذا السلاح على الأقل!!

● هذه مجرد أمثلة وإحصاءات تمثيلية لا حصرية. . أغفلنا فيها من الأحداث الفردية الكثير: مثل حوادث الاغتصاب التي تحدث في وضح النهار، ونغفل فيها رغماً عنّا أحداث العنف الفردي التي تتوالى كل يوم من خلال قنوات الإعلام الغربية نفسها.

كما أغفلنا من حوادث الإرهاب الدولي الكثير، وبالذات ما تمارسه أمريكا في الشرق الأوسط، وفي أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، ولا ننسى أنهم كانوا يتفرجون على المجاعة التي كانت تفتك بأفريقيا، والتي كانت متوقعة قبل حلولها بسنوات. .

فالحصر يضيق عن جمع كل هذه الأحداث . . وكثير من الأقاليم التي عمتها المجاعة كان باصطناعهم وترويجهم الإعلامي لتسهيل مهمة إرساليات التنصير.

وبذلك ينبغي ألاّ يأتي علينا زمن نصدق فيه الترهات الإعلامية التي تشوّه صورة الإسلام والمسلمين . .

والنماذج السابقة التي تكشف الانحراف السلوكي والفطري الذي يدفع الى الممارسات الإجرامية تبين أن الإرهاب هناك يعشش، وأنهم في واقع الأمر لا يجدون من الإسلام إرهاباً، وإنما هي الرهبة من مدٍّ يقتلع جذور الباطل؛ فلا يبقي ولا يذر، ويُظهر هشاشة وهزال الحضارة المادية التي نسيت الله تعالى في سيرها فتوّجهت نحو الدمار والفناء الذاتي ، والله سبحانه من وراء القصد، وهو نعم الوكيل . .

★ الإحصاءات الواردة في المقال مترجمة عن: Guiness book of Reckords, 1986. 32 rd Ediltion, England

# الفهرس

## مِنْ أعمال المؤلِّف

- التلفزيون السم اللذيذ

  مكتبة الأقصى ـ الدوحة
- خواطر منافق

  مسرحية شعرية
- السلفية الشيوعية

  (تحت الطبع)
- أقلام مسمومة

  (تحت الطبع)

مكتبة الأقصى الدوحة ـ قطر ت ٤٣٧٤٠٩ ص.ب ٧٦٥٢